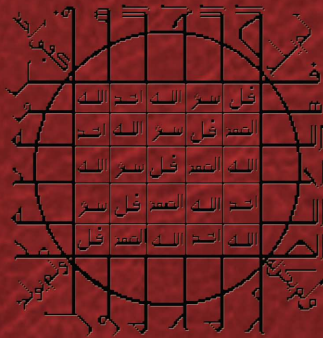


# TARIQ AL JANNA

## *The Path of Paradise*



*By*

Shehu Uthman Dan Fodio

Arabic Text Written and Translated with Introduction by;  
Abu Alfa Umar Muhammad Shareef bin Farid

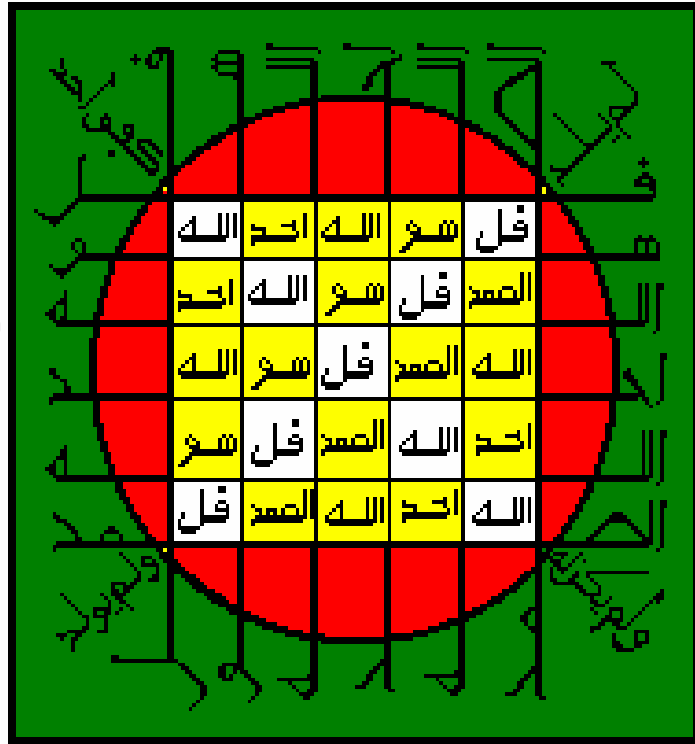
In

SANKORE'



Institute of Islamic - African Studies International

# طَرِيقُ الْجَنَّةِ



تَأَلِيفُ

الْعَالِمِ الْعَامِلِ الْوَرَعِ الْمَجَاهِدِ الدَّاعِي إِلَى سَبِيلِ رَبِّهِ سَيِّفِ الْحَقِّ وَنُورِ الزَّمَانِ وَمُجَدِّدِ الدِّينِ وَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ

## الشَّيْخُ عُثْمَانُ بْنُ فُودِي

تَعَمَّدَهُ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ آمِينَ

Institute of Islamic-African Studies International \*\*\*\*\*

راجعها وعلق عليها الفقير الى الله تعالى

الْأَمِيرُ الْمُكَافِحُ أَبُو الْفَا عَمْرٍ مُحَمَّدٌ شَرِيفُ بْنُ فَرِيدٍ

عفا الله عنه وغفر لشييوخه ووالديه وأهله وأولاده آمين

**Copyright © 1417/1996 Muhammad Shareef**

Published by  
**SANKORE'**



**SANKORE'**

**Institute of Islamic - African Studies International**

**The Palace of the Sultan of Maiurno**

**Maiurno, Sennar, Sudan**



**Institute of Islamic-African Studies International**

بسم الله الرحمن الرحيم وعلى الله وعلى سيدنا محمد وآله وصحبه  
 وسلم تسليمًا: قال الأثير الملقب بالرحمة ربه العكس رجا  
 طره أفلة العمل والتقى المشبه وعزيت لهيئته عثمان بن محمد  
 بن عثمان الجليل بن نسيب المالكي مذهبنا الأشعري اعتقادنا الحمد لله  
 رب العالمين الثلاثة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 بهذا الكتاب طريق الجنة من أسرار كلام ابن حامد الفخر الرضه  
 الله تفتن رب الله التوفيق يا أخاه عليك أو لا وفك الله بطلب  
 العلم وعليه المدار واعلم أن العلم والعبادة جَوْ قَرَارَا  
 جلوهما انزلت الكتب وارسلت الرسل لا بد للعباد أن يكفروا  
 عن كل ما لا أمر به من نصيب لكن القيادة لا تحصل إلا بالعلم  
 بلزم إذ تقدم علم النافع ثم اعلم أن كل من طلب العلم  
 ليصرفه وجوه الناس إليه فتجارته باهرة تظهر قلبه  
 من عجز وحسد وكبر ورياء وعجب وجب الدنيا ليحصل  
 لك العلم النافع يا أخاه العلوم التي طلبها البرية  
 على كل مسلم ثلاثة علم التوحيد وعلم الشريعة وعلم  
 السر نذنه به ما يتطلع بالقلب ومسا عليه واما احدهما

يجب

الورقة 2 من مخطوطة طريق الجنة للشيخ عثمان بن فودي التي صورتها من المخطوطات في المعهد الدراسات الإسلامية لجامعة الشيخ عثمان بن

فودي في صكت، نيجيرية

# SANKORE'



Institute of Islamic-African Studies International

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ! وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَأَلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا<sup>2</sup>  
 قَالَ الْعَبْدُ الْفَقِيرُ<sup>3</sup> الْمُضْطَّرُّ إِلَى رَحْمَةِ رَبِّهِ، الْمُنْكَسِرُ خَاطِرُهُ لِقَلَّةِ الْعَمَلِ وَالتَّقْوَى، الْمُسْتَفِقُّ مِنْ خُبْتِ  
 صَنِيعِهِ **عُثْمَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عُثْمَانَ**<sup>4</sup>، الْفَلَاتِيُّ نَسَبًا<sup>5</sup>، الْمَالِكِيُّ مَذْهَبًا<sup>6</sup>، الْأَشْعَرِيُّ إِعْتِقَادًا<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> مبتدئاً بالبسملة لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحيم أقطع))، رواه عبد القادر  
 الرهاوي في الأربعين عن أبي هريرة.

<sup>2</sup> إقتدناً بقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مَنْ صَلَّى عَلَيَّ فِي كِتَابٍ لَمْ تَزَلِ الْمَلَائِكَةُ تَسْتَغْفِرُ لَهُ مَا دَامَ اسْمِي فِي ذَلِكَ الْكِتَابِ))،  
 رواه الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة.

<sup>3</sup> أي إعتراف لعدم القدرة بكل حال في ذاته وعرضه. قال الله تعالى: ﴿يَأْيُهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ  
 الْحَمِيدُ﴾، وقال الشيخ أحمد بن عبيدة رحمه الله: أما الفقير فهو الذي افتقر مما سوى الله، ورفض كل ما يُشغله عن الله،  
 لذا قالوا: الفقير لا يملك ولا يملك، أي لا يملك شيئاً ولا يملكه شيءٌ وشروط الفقير أربعة: [1] رفع الهمة؛ [2] وحسن  
 الخدمة؛ [3] وتعظيم الحرمة؛ [4] ونفوذ العزيمة.

<sup>4</sup> وهو أبو محمد عثمان بن محمد بن صالح بن هرون بن محمد غرط بن محمد جب بن محمد سنب بن ماسران  
 بن أيوب بن بوب بابا بن ابي بكر بن موسى جكل وهو من أبناء إمام تمبب خرج من فوت حتى ورد بلاد كوني، فقيلته  
 أهل تورودي، وهم قوم من بلاد فوت تور، وأصلهم من نصارى الروم أو من بني إسرائيل. وصلت إليهم جيوش الصحابة  
 فأمن ملكهم وتزوج بنته عبة بن نافع المجاهد الصحابي أمير الغرب، فولدت قبيلة تورودي فلان المشهورة. وأما أم المؤلف  
 فهي حواء بنت العالم الفقيه محمد بن عثمان بن حم بن عال بن جب بن محمد سنب بن ماسران الخ، وأم العالم الفقيه محمد  
 هذا: فاطمة بنت محمد بن عبد الصمد بن أحمد الشريف بن علي التنبعي بن عبد الرزاق بن الصالح بن المبارك بن أحمد بن  
 أبي الحسن الشاذلي بن عبد الله بن عبد الجبار بن تميم بن هرمرز بن حاتم بن قصي بن يوسف بن يوشع بن ورد بن بطال  
 بن أحمد بن محمد بن عيسى بن محمد بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت رسول الله صَلَّى اللهُ  
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى آله الطاهرين وأصحابه المرضيين.

<sup>5</sup> قال في كتاب التتوير: "الفلاتي مشتق من قلت يقلت أي نجا ينجوا، ويقال قلت فلان إذا نجا لأنهم ينجون ويفلتون كلها  
 درك الفتنة يُنجيهم الله ولأنهم ينتقلون من مكان، وكانوا أصحاب التجاول أيضا ولهذه الأسباب يُسمونهم فلانيين". يسموا  
 أيضا الفلاني والفلبي والتردبي وغير ذلك، وأصلهم من الروم بن العيص بن اسحاق بن أبراهيم، عليه السلام.

<sup>6</sup> أي عندما صنف الشيخ عثمان هذا الكتاب المبارك كان على مذهب مالك، فهو أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي  
 عامر بن عمرو بن الحارث بن غيمان بن خثيل بن عمرو بن الحارث، وهو ذو أصبج بن عوف بن مالك بن زيد بن شداد  
 بن زرعة، وهو حمير الأصغر الحميري، ثم الأصبحي، المدني، هو شيخ الإسلام، حجة الأمة، إمام دار الهجرة، وأمه هي:  
 عالية بنت شريك الأزدي، مولد مالك على الأصح: في سنة ثلاث وتسعين، عام موت أنس خادم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ  
 وَسَلَّمَ، وطلب العلم وهو حدث، قال أبو موسى الأشعري، قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((يُخْرَجُ نَاسٌ مِنْ  
 الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ، فَلَا يَجِدُونَ عَالِمًا أَعْلَمَ مِنْ عَالِمِ الْمَدِينَةِ))، إِنَّهُ مَالِكٌ، لَمْ يَبْقَ لَهُ نَظِيرٌ بِالْمَدِينَةِ، قَالَ الْقَاضِي  
 عِيَّاضٌ: هَذَا هُوَ الصَّحِيحُ عَنْ سُفْيَانَ الَّذِي قَالَ: نَرَى هَذَا الْحَدِيثَ أَنَّهُ هُوَ مَالِكٌ.

<sup>7</sup> أي عندما صنف الشيخ عثمان هذا الكتاب المبارك كان على عقيدة الإمام الأشعري هو الشيخ الإمام هو العلامة، إمام  
 المتكلمين، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى ابن أمير البصرة



الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ<sup>8</sup>، أَمَا بَعْدُ<sup>9</sup>: فَهَذَا

كِتَابُ

## طَرِيقُ الْجَنَّةِ

لَخَصَّتُهُ مِنْ أَسْرَارِ كَلَامِ أَبِي حَامِدٍ الْغَزَالِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.<sup>10</sup>

بِلَالِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ ابْنِ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبِي مُوسَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسِ بْنِ حَضْرَةَ الْأَشْعَرِيِّ، الْيَمَانِيِّ، الْبَصْرِيِّ مَوْلَاهُ: سَنَةَ سِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ، وَكَانَ عَجَبًا فِي الذِّكَاءِ، وَقُوَّةِ الْفَهْمِ، وَلَمَّا بَرَعَ فِي مَعْرِفَةِ الْاِعْتِرَالِ، كَرِهَهُ وَتَبَرَّأَ مِنْهُ، وَصَعِدَ لِلنَّاسِ، فَتَابَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْهُ، ثُمَّ أَخَذَ يُرِدُّ عَلَى الْمُعْتَزَلَةِ، وَيَهْتِكُ عَوَارِثَهُمْ، مَاتَ بِبَغْدَادَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَعَشْرِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ، قِيلَ إِنَّهُ وَاحِدَ الْمَجْدِدِ فِي الْقُرُونِ الثَّلَاثِ، فَحَيْثَمَا ذَكَرَ الشَّيْخُ عَثْمَانَ نَسَبَهُ وَمَذْجَبَهُ وَعَقِيدَتَهُ لِأَيِّ مِصَانِفِهِ نَعْرِفُ إِنَّهُ صَنَفَهُ فِي بَدَايَةِ أَمْرِهِ قَبْلَ وَصَلِ إِلَى مَقَامِ الْاِجْتِهَادِيَّةِ وَالْمَجْدِدِيَّةِ.

<sup>8</sup> اِقْتَدَانًا بِالْكِتَابِ الْعَزِيزِ وَالْعَمَلِ بِمَقْتَضَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يَبْدَأُ فِيهِ بِحَمْدِ اللَّهِ وَالصَّلَاةِ عَلَيَّ فَهُوَ أَقْطَعُ أَتْبَرَ مَحْذُوقٍ مِنْ كُلِّ بَرَكَةٍ))، رَوَاهُ الرَّهَاطِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

<sup>9</sup> وَقِيلَ: فَصَلُّ الْخُطَابِ أَمَا بَعْدُ؛ وَدَاوُودٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوَّلُ مَنْ قَالَ: أَمَا بَعْدُ. وَقِيلَ: فَصَلُّ الْخُطَابِ الْفِقْهُ فِي الْقَضَاءِ وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ: مَعْنَى: أَمَا بَعْدُ، أَمَا بَعْدَ مَا مَضَى مِنَ الْكَلَامِ، فَهُوَ كَذَا وَكَذَا.

<sup>10</sup> وَهُوَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْبَحْرُ حُجَّةُ الْإِسْلَامِ أُعْجِبِيَّةُ الزَّمَانِ زَيْنُ الدِّينِ أَبُو حَامِدٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ الطُّوسِيِّ، الشَّافِعِيِّ الْغَزَالِيِّ، صَاحِبُ التَّصَانِيفِ، وَالذِّكَاءِ الْمُفْرَطِ، تَفَقَّهَ بِبَلَدِهِ أَوَّلًا، ثُمَّ تَحَوَّلَ إِلَى نَيْسَابُورَ فِي مُرَافَقَةِ جَمَاعَةٍ مِنَ الطَّلَبَةِ، فَلَازَمَ إِمَامَ الْحَرَمَيْنِ، فَبَرَعَ فِي الْفِقْهِ فِي مُدَّةٍ قَرِيبَةٍ، وَمَهَّرَ فِي الْكَلَامِ وَالْجَدَلِ، حَتَّى صَارَ عَيْنَ الْمُنَاطِرِينَ، وَأَعَادَ لِلطَّلَبَةِ، وَشَرَعَ فِي التَّصْنِيفِ، ثُمَّ سَارَ أَبُو حَامِدٍ إِلَى الْمُخَيَّمِ السُّلْطَانِيِّ، فَأَقْبِلَ عَلَيْهِ نِظَامُ الْمَلِكِ الْوَزِيرِ، وَسَرَّ بِوُجُودِهِ، وَنَاطَرَ الْكِبَارَ بِحَضْرَتِهِ، فَانْبَهَرَ لَهُ، وَشَاعَ أَمْرُهُ، فَوَلَّاهُ النِّظَامُ تَدْرِيسَ نِظَامِيَّةِ بَغْدَادَ، فَفَقَدَهَا بَعْدَ الثَّمَانِينَ وَأَرْبَعِ مِائَةٍ، وَسَنَّهُ نَحْوَ الثَّلَاثِينَ، وَأَخَذَ فِي تَأْلِيفِ الْأُصُولِ وَالْفِقْهِ وَالْكَلَامِ وَالْحِكْمَةِ، وَأَدْخَلَهُ سَيْلَانُ ذَهَبَهُ فِي مِصَابِقِ الْكَلَامِ، وَمَزَالَ الْأَقْدَامَ، وَاللَّهُ سِرٌّ فِي خَلْقِهِ. وَعَظُمَ جَاهُ الرَّجُلِ، وَازْدَادَتْ حِسْمَتُهُ، بِحَيْثُ إِنَّهُ فِي دَسْتِ أَمِيرٍ، وَفِي رُتْبَةِ رَئِيسِ كَبِيرٍ، فَأَدَّاهُ نَظْرَهُ فِي الْعُلُومِ، وَمُمَارَسَتَهُ لِأَقَانِينِ الرُّهْدِيَّاتِ إِلَى رِفْضِ الرِّئَاسَةِ، وَالْاِئْتَابَةِ إِلَى دَارِ الْخُلُودِ، وَالتَّأَلُّهِ، وَالْاِخْلَاصِ، وَالْاِصْلَاحِ النَّفْسِ، فَحَجَّ مِنْ وَقْتِهِ، وَزَارَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ، وَصَحِبَ الْفَقِيهَ نَصْرَ بْنَ اِبْرَاهِيمَ بِدِمَشْقَ، وَأَقَامَ مُدَّةً، وَأَلَّفَ كِتَابَ الْاِحْيَاءِ، وَكِتَابَ الْاَرْبَعِينَ، وَكِتَابَ الْقِسْطِ، وَكِتَابَ مَحْكِ النَّظْرِ. وَرَاضَ نَفْسَهُ وَجَاهَهَا، وَطَرَدَ شَيْطَانَ الرُّعُونَةَ، وَلَيْسَ زَيِّ الْأَتَقِيَاءِ، ثُمَّ بَعْدَ سِنَوَاتٍ سَارَ إِلَى وَطَنِهِ، لِأَزْمَانِ لِسِنَّتِهِ، حَافِظًا لَوْقَتِهِ، مَكْبَأً عَلَى الْعِلْمِ حَتَّى اجْتَمَعُوا عُلَمَاءَ زَمَانِهِ عَلَى إِنَّهُ وَاحِدٌ مِنَ الْمَجْدِدِينَ فِي الْقُرُونِ الْخَامِسِ.

# SANKORE'



Institute of Islamic-African Studies International



## بَابٌ فِي طَلْبِ الْعِلْمِ

فَأَقُولُ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ، يَا أَخِي عَلَيْكَ أَوْلًا وَفَقَكَ اللَّهُ بِطَلْبِ الْعِلْمِ<sup>11</sup>، وَعَلَيْهِ الْمَدَارُ، وَأَعْلَمُ أَنَّ الْعِلْمَ وَالْعِبَادَةَ جَوْهَرَانِ، لِأَجْلِهِمَا أَنْزَلْتَ الْكُتُبَ وَأُرْسَلْتَ الرَّسُلُ<sup>12</sup>، لَا بُدَّ لِلْعَبْدِ أَنْ يَكُونَ لَهُ مِنْ كِلَا الْأَمْرَيْنِ نَصِيبٌ<sup>13</sup>، لَكِنَّ الْعِبَادَةَ لَا تَحْصُلُ إِلَّا بِالْعِلْمِ، فَلَزِمَ إِذَا تَقَدَّمَ الْعِلْمُ النَّافِعُ<sup>14</sup>، ثُمَّ أَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيَصْرِفَ بِهِ وَجْوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ فَتَجَارَتُهُ بَائِرَةٌ<sup>15</sup>، فَطَهَّرْ قَلْبَكَ مِنْ غِلٍّ وَحَسَدٍ وَكِبْرٍ وَرِيَاءٍ وَعَجْبٍ وَحُبِّ الدُّنْيَا لِتَحْصُلَ لَكَ الْعِلْمُ النَّافِعُ<sup>16</sup>.

يَا أَخِي إِنَّ الْعُلُومَ الَّتِي طَلَبَهَا فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ ثَلَاثَةٌ: [1] عِلْمُ التَّوْحِيدِ<sup>17</sup>؛ [2] وَعِلْمُ الشَّرِيعَةِ<sup>18</sup>؛ [3] وَعِلْمُ السَّرِّ، نَعْنِي بِهِ مَا يَتَعَلَّقُ بِالْقَلْبِ وَمَسَاعِيهِ<sup>19</sup>.

<sup>11</sup> لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ((الْعِلْمُ إِمَامٌ وَالْعَمَلُ تَابِعُهُ.))

<sup>12</sup> فَأَوْلُ مَا يُرَاعَى تَحْسِينُ نِيَّتِهِ فِي التَّعْلِيمِ بِأَنْ يَمْتَلَّ بِهِ أَمْرَ اللَّهِ لِقَوْلِهِ: «وَإِذَا أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ»، سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: 187، وَأَمْثَالُهُ وَأَمْثَالًا لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَمَا رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالدَّارِقُطْنِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ، وَإِتْمَامُ هَذَا الْحَدِيثِ: ((بَلَّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً.))، وَكَمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي بَكْرَةَ نَفِيعِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ كَلْدَةَ وَغَيْرِهِ وَالْمُسْلِمُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ عَنْ أَبِي شَرِيحِ الْخَزَاعِيِّ الْكَعْبِيِّ الْعَدِيِّ وَأَبِي دَاوُدَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ عَمْرِو بْنِ الْخَطَّابِ الْعَدَوِيِّ وَابْنِ مَاجَةَ عَنْ مَعَاوِيَةَ بْنِ حَيْدَةَ بْنِ مَعَاوِيَةَ الْقَشِيرِيِّ وَغَيْرِهِ وَأَحْمَدُ عَنْ أَسْمَا بِنْتِ يَزِيدَ بْنِ السَّكَنِ الْأَنْصَارِيَّةِ وَغَيْرِهَا وَالدَّارِمِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ الْهَاشِمِيِّ وَغَيْرِهِ وَالدَّارِقُطْنِيُّ وَلَكِنْ لَا يَوْجَدُ خِدْمَاتُ لِرِوَايَتِهِ: ((لِيَبْلُغَ الشَّاهِدُ مِنْكُمْ الْغَائِبَ.))

<sup>13</sup> وَقَدْ قَالَ دَاوُدُ الطَّائِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: طَالِبُ الْعِلْمِ كَالْمَحَارِبِ فَإِذَا أَفْنَى عَمْرَهُ فِي تَعْلِيمِ كَيْفِيَةِ الْقِتَالِ فَمَتَى يَقَاتِلُ؟ فَمَنْ عَقِلَ الْعَاقِلُ أَنَّهُ كَلِمَا رَأَى نَفْسَهُ عَمَلَتْ بِكُلِّ مَا عِلْمٌ وَاحْتَاجَتْ لِلْعِلْمِ أَنْ يَقْدِمَهُ عَلَى سَائِرِ الطَّاعَاتِ الَّتِي لَمْ يَأْمُرْ الشَّارِعُ بِتَقْدِيمِهَا عَلَيْهِ، وَكَلِمَا رَأَى نَفْسَهُ مُسْتَغْنِيَةً عَنِ الْعِلْمِ وَعِلْمَهَا زَائِدٌ عَلَى حَاجَتِهَا أَنْ يَقْدِمَ غَيْرَهُ عَلَيْهِ كَمَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ الصَّالِحُ فَلَا يَدُ لِكُلِّ إِنْسَانٍ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ وَالِاسْتِغْلَالِ بَوَاحِدٍ مِنْهُمَا دُونَ الْآخَرِ نَقْصٌ.

<sup>14</sup> وَسئَلُ بَعْضَ الْحُكَمَاءِ عَنِ الْعِلْمِ النَّافِعِ فَقَالَ: أَنْ تَعْرِفَ قَدْرَكَ وَلَا تَتَعَدَّى طُورَكَ.

<sup>15</sup> هَذَا لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ عَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ: ((مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُجَارِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ أَوْ لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ أَوْ لِيَصْرِفَ بِهِ وَجْوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ ادْخَلَهُ اللَّهُ النَّارَ.))

<sup>16</sup> لِأَنَّ إِذَا طَهَّرَ الْقَلْبَ صَافٍ الْبَصِيرَةَ وَإِذَا صَافَى الْبَصِيرَةَ حَصَلَ عَلَى كُلِّ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ وَالْمَكَاشِفَاتِ الَّتِي يَنْفَعُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

<sup>17</sup> قَالَ الشَّيْخُ عِثْمَانُ بْنُ فُؤَادٍ فِي مَعْرَاجِ الْعُلُومِ فِي مَعْنَى أَصُولِ الدِّينِ: "الَّذِي هُوَ عِلْمُ التَّوْحِيدِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ: الْقِسْمُ الْأَوَّلُ الْإِلَهِيَّاتُ، وَهَذِهِ الْقِسْمُ يَدُورُ عَلَى مَا يَجِبُ لِلَّهِ تَعَالَى وَمَا يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ وَمَا يَجُوزُ لَهُ، الْقِسْمُ الثَّانِي النَّبَوِيَّاتُ، وَهَذَا الْقِسْمُ يَدُورُ عَلَى مَا يَجِبُ لِلرَّسُولِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَمَا يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِمْ وَمَا يَجُوزُ لَهُمْ، الْقِسْمُ الثَّالِثُ السَّمْعِيَّاتُ، وَهَذَا الْقِسْمُ يَدُورُ عَلَى مَا أَخْبَرَ بِهِ الرَّسُولُ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنَ الْأُمُورِ الْمُغَيَّبَاتِ."

وَأَمَّا حَدُّ مَا يَجِبُ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا فَسُنْبِيهَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَالَّذِي يَتَعَيَّنُ عَلَيْكَ فَرَضُهُ مِنْ عِلْمِ التَّوْحِيدِ مَقْدَارٌ مَا تَعْرِفُ بِهِ أُصُولَ الدِّينِ، وَلَا يَلْزِمُكَ مَعْرِفَةُ فُرُوعِ عِلْمِ التَّوْحِيدِ وَدَقَائِقِهِ.<sup>20</sup>

وَأَمَّا عِلْمُ الشَّرِيعَةِ فَكُلُّ مَا تَعَيَّنَ عَلَيْكَ فَرَضٌ فَعَلَهُ يَجِبُ عَلَيْكَ مَعْرِفَتُهُ لِتَوَدِّيهِ: كَالطَّهَّارَةِ وَالصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ. وَأَمَّا الْحَجُّ وَالْجِهَادُ وَالزَّكَاةُ إِنْ تَعَيَّنَ عَلَيْكَ وَجِبَ عَلَيْكَ عِلْمُهُ لِتَوَدِّيهِ، وَإِلَّا فَلَا.<sup>21</sup>

وَأَمَّا الَّذِي يَتَعَيَّنُ فَرَضُهُ مِنْ عِلْمِ السِّرِّ فَمَعْرِفَةُ مَا وَجِبَ وَمَا نَهَى لِيَحْصُلَ تَعْظِيمُ اللَّهِ وَالْإِخْلَاصُ وَالنِّيَّةُ وَسَلَامَةُ الْعَمَلِ، وَعَامَّةٌ ذَلِكَ يَأْتِي فِي هَذَا التَّنْخِيسِ<sup>22</sup>، فَهَذَا حَدُّ مَا يَلْزِمُ الْعَبْدَ تَحْصُلُهُ مِنَ الْعِلْمِ لَا مَحَالَةَ، كَمَا مَنْ حَصَلَ مَا وَجِبَ عَلَيْهِ مِنَ الْعِلْمِ فِي مُدَّةٍ بَسِيرَةٍ وَأَخْرُ مُتَرَدِّدٌ فِي ذَلِكَ سَبْعِينَ سَنَةً، وَالْأَمْرُ كُلُّهُ بِيَدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.<sup>23</sup>



<sup>18</sup> وأصله من: شرع أي تناول الماء بفيه، فمعنى شريعة في كلام العرب: مَسْرَعَةُ الْمَاءِ وَهِيَ مَوْرِدُ الشَّارِبَةِ الَّتِي يَشْرَعُهَا النَّاسُ فَيَشْرَبُونَ مِنْهَا وَيَسْتَقُونَ، فَمَعْنَاهُ فِي الدِّينِ كَمَا قَالَ اللَّيْثُ: الْمَوَاضِعُ الَّتِي يُنْحَدِرُ إِلَى الْمَاءِ مِنْهَا، زَبْهَا سَمِيَ مَا شَرَعَ اللَّهُ لِلْعِبَادَةِ شَرِيعَةً مِنَ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ وَالْحَجِّ وَالنِّكَاحِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْأَعْمَالِ الظَّاهِرِ.

<sup>19</sup> أي علم الأسرار وهو ما يتعلق بقلوب الناس وتطهيرها وما حصل لها من المعارف والمكاشفات والحقائق كما سيبينه إن شاء الله، ويسمى هذا القسم الفروع الباطنة أو علم الحقيقة أو علم التصوف.

<sup>20</sup> فليُنظَر لَكِتَابِ الشَّيْخِ عَثْمَانَ فِي هَذَا الشَّأْنِ كَأَصُولِ الدِّينِ وَكِفَايَةِ الْمُهْتَدِينَ وَمِعْرَاجِ الْإِحْوَانِ وَعَمْدَةِ الْبَيَانِ فِي الْعُلُومِ وَاجْتِبَ عَلَى الْأَعْيَانِ وَغَيْرِهِمْ عِلْمَ أُصُولِ الدِّينِ وَعِلْمَ الْكَلَامِ وَالتَّوْحِيدِ.

<sup>21</sup> فليُنظَر لَكِتَابِ الشَّيْخِ عَثْمَانَ فِي هَذَا الشَّأْنِ كَعَمْدَةِ الْبَيَانِ وَعَمْدَةِ الْمُتَعَبِّدِينَ وَسُوقِ الْأُمَّةِ وَمِرَاةِ الطَّلَابِ وَعَمْدَةِ الْعُلَمَاءِ وَإِحْيَاءِ السَّنَةِ وَغَيْرِهِمْ فِي كِتَابِهِ فِي عِلْمِ الْفِقْهِ وَالشَّرِيعَةِ.

<sup>22</sup> أي قصد الشيخ عثمان في هذا الكتاب المبارك أن يبين علم الأسرار أو التصوف، وقد صنف الكتب الكثير في هذا الشأن كسوق الصديقين وفرق بين التصوف للتخلق والتصوف للتحقق والسلاسل الذهبية وغيرهم من كتب في علم التصوف والأسرار والمعارف.

<sup>23</sup> فهذا معنى قول الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، وبقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ أي علوما نافعا التي بها يفرق بين الحق والباطل.

# SANKORE'



Institute of Islamic-African Studies International

## بَابُ فِي التَّوْبَةِ<sup>24</sup>

ثُمَّ عَلَيْكَ يَا أُخِي بِالتَّوْبَةِ<sup>25</sup> لِأَمْرَيْنِ: أَحَدُهُمَا لِيَحْصَلَ لَكَ تَوْفِيقُ الطَّاعَةِ، فَإِنَّ شَوْمَ الذَّنْبِ يُورِثُ الْحَرَمَانَ، لِأَنَّ الذَّنْبَ يُفِيدُ الْإِنْسَانَ عَنِ الْخَيْرَاتِ وَالنَّشَاطِ فِي الطَّاعَاتِ.<sup>26</sup> وَالثَّانِي مِنَ الْأَمْرَيْنِ إِنَّمَا يَلْزَمُكَ التَّوْبَةُ لِتَقْبَلَ عِبَادَتِكَ، فَإِنَّ رَبَّ الدِّينِ لَا يَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ.<sup>27</sup> أَمَا مَا يَحْمَلُكَ عَلَى التَّوْبَةِ فَثَلَاثَةٌ: ذِكْرُ غَايَةِ قُبْحِ الذُّنُوبِ؛ وَشِدَّةُ عَذَابِ اللَّهِ؛ وَضَعْفُ جِسْمِكَ، إِذَا وَاطَبْتَ عَلَى ذِكْرِهَا سَتَحْمَلُكَ عَلَى التَّوْبَةِ النَّصُوحِ.<sup>28</sup> وَ أَمَا حَدُّ التَّوْبَةِ: تَبْرِئَةُ الْقَلْبِ عَنِ الذُّنُوبِ تَعْظِيمًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ وَتَحْذِيرٌ مِنْ سُخْطِهِ، لَا رَغْبَةَ دُنْيَوِيَّةً أَوْ رَهْبَةَ مِنَ النَّاسِ أَوْ طَلَبَ ثَنَاءٍ أَوْ صَيِّتٍ أَوْ ضَعْفٍ،<sup>29</sup> ثُمَّ أَعْلَمُ أَنَّ الذُّنُوبَ فِي الْجُمْلَةِ ثَلَاثَةٌ أَقْسَامٌ:

أَحَدُهَا تَرَكَ وَاجِبَاتِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ صَلَاةٍ أَوْ صَوْمٍ أَوْ زَكَاةٍ أَوْ كَفَّارَةٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، فَتَقْضَى مَا أَمَكَكَ مِنْهَا.

وَالثَّانِي ذُنُوبٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، كَشَرْبِ الْخَمْرِ وَضَرْبِ الْمَرْامِيرِ وَأَكْلِ الرَّبَا وَنَحْوِ ذَلِكَ، فَتَتَدَمُّ عَلَى ذَلِكَ وَتَضْمُرُ فِي الْقَلْبِ عَلَى تَرَكَ الْعُودِ إِلَى مِثْلِهَا أَبَدًا.<sup>30</sup>

<sup>24</sup> فمعنى التوبة: أناب ورجع عن المعصية إلى الطاعة، وأصله من تاب إلى الله يتوب توباً وتوبةً ومتاباً، أي الرجوع من الذنب، حكمة الشيخ عثمان وغيره من العلماء في وضع باب التوبة بعد باب العلم لأن من جملة العمل بالعلم توبة العبد واستغفاره إذا وقع في معصية، فإنه لولا العلم ما عرف أنها معصية، ولا تاب منها فتأمل، فلذلك جعل العلم قبل التوبة.  
<sup>25</sup> واعلم إن الله تعالى جعل التوبة سترة لعورة العمل وطهارة لجناحة الزلل وهدماً لما مضى وإصلاحاً لما ياتي. فاول المقامات التوبة. ولا يقبل ما بعدها الا بها.

<sup>26</sup> قال الله تعالى: ﴿وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾، [النور: 31] أي: عودوا إلى طاعته وأنيبوا إليه لكي تتجوا من عذابه وتنالوا من رحمته فبين الله تعالى أن التوبة مفتاح كل خير وأن فلاح المؤمن في توبته.

<sup>27</sup> قال الله تعالى: ﴿ألم يعلموا أن الله يقبل التوبة عن عباده﴾، [التوبة: 104] والتوبة هي التي تغتسل سواد القلب فتبرز الأعمال وعليها روائح القبول.

<sup>28</sup> روى الديلمي عن أنس بن مالك: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من استبطن الرزق فليكثر من التكبير ومن كثر همته وغمه فليكثر من الاستغفار))، فإذا ثبت إلى الله زالت عنك آثار الذنوب.

<sup>29</sup> وللتوبة شروط: منع القلب على العود؛ والندم على الفعل؛ وترك الإصرار في المستقبل؛ ورد المظالم؛ ورفض التسويف بالفعل؛ وكثرة الاستغفار من الزلل؛ ترك الذنب لله؛ أن يستسعر قبح الذنب وضرره؛ أن يخشى على توبته من النقص؛ أن يفارق موضع المعصية؛ أن يفارق من أعانه على المعصية؛ أن يختار من الرفقاء الصالحين من يعينه على نفسه؛ أن تكون التوبة قبل الغرغرة و قبل طلوع الشمس من مغربها.

<sup>30</sup> هذا لقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((الندم توبة)) رواه الحاكم والبيهقي عن أنس بن مالك والبخاري في تريحه وإين ماجه وأحمد في مسنده عن ابن مسعود.

وَالثَّلَاثُ ذُنُوبٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْعِبَادِ، وَهِيَ أَصْعَبُ، وَهِيَ أَقْسَمُ قَدْ تَكُونُ فِي الْمَالِ وَفِي النَّفْسِ وَفِي الْعَرِضِ وَفِي الْحُرْمَةِ وَفِي الدِّينِ، فَتَسْتَحِلُّ مَا أَمَكَكَ فِي كُلِّ مَا ذَكَرَ، وَمَا لَمْ يُمَكِّنْ رَجَعْتَ إِلَى اللَّهِ بِالصَّدَقِ لِإِرْضِيهِ عَنْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

ثُمَّ تَذْهَبُ فَتَغْتَسِلُ ثِيَابَكَ، فَتَغْتَسِلُ<sup>31</sup>، وَتُصَلِّيَ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، وَتَضَعُ وَجْهَكَ عَلَى الْأَرْضِ فِي مَكَانٍ خَالٍ لَا يَرَاكَ إِلَّا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ثُمَّ تَجْعَلُ التُّرَابَ عَلَى رَأْسِكَ وَتَمْرَعُ وَجْهَكَ الَّذِي هُوَ أَعَزُّ أَعْضَانِكَ فِي التُّرَابِ، بِدَمْعِ جَارٍ وَقَلْبِ حَزِينٍ وَصَوْتِ عَالٍ، وَتَذَكُرُ ذُنُوبَكَ وَاحِدًا وَاحِدًا مَا أَمَكَكَ، وَتَلُومُ نَفْسَكَ الْعَاصِيَةَ وَتُوبِّخُهَا وَتَقُولُ: "أَمَا تَسْتَحْيِي يَا نَفْسُ؟ أَمَا أَنْ لَكَ أَنْ تَتُوبِي؟ أَلَيْكَ طَاقَةٌ بَعْدَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؟ أَلَيْكَ حَاجَةٌ بِسُخْطِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟" وَتَذَكُرُ مِنْ هَذَا كَثِيرًا وَتَبْكِي، ثُمَّ تَرْفَعُ يَدَيْكَ إِلَى الرَّبِّ الرَّحِيمِ وَتَقُولُ:

إِلَهِي عَيْدُكَ الْمَذْنِبُ أَتَاكَ بِالْعُذْرِ، فَاعْفُ عَنِّي بِجُودِكَ وَتَقَبَّلْنِي بِفَضْلِكَ،  
وَأَنْظِرْ إِلَيَّ بِرَحْمَتِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا سَلَفَ مِنَ الذُّنُوبِ، وَأَعْصِمْنِي فِي مَا  
بَقِيَ مِنَ الْأَجْلِ، فَإِنَّ الْخَيْرَ كُلَّهُ بِيَدِكَ، وَأَنْتَ بِنَا رُؤْفٌ رَحِيمٌ.

ثُمَّ تَدْعُو بِدُعَاءِ الشَّدَّةِ وَهُوَ:

يَا مُجَلِّي عِظَائِمِ الْأُمُورِ، يَا مُنْتَهَى هِمَّةِ الْمَهْمُومِينَ، يَا مَنْ إِذَا أَرَادَ أَمْرًا فَإِنَّمَا  
يَقُولُ لَهُ "كُنْ" فَيَكُونُ، أَحَاطَتْ بِنَا ذُنُوبُنَا، وَأَنْتَ الْمَدْحُورُ لَهَا، يَا مَدْحُورٌ لِكُلِّ  
شِدَّةٍ كُنْتَ أَدْخَرَكُ بِهَذَا السَّاعَةِ، فَتَبَّ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ النَّوَابُ الرَّحِيمُ.  
ثُمَّ أَكْثَرَ مِنَ الْبُكَاءِ وَالتَّذَلُّلِ وَقُلَّ:

يَا مَنْ لَا يَشْغُلُهُ سَمْعٌ عَنِ سَمْعٍ، يَا مَنْ لَا تَعْطَلُهُ الْمَسَائِلُ، يَا مَنْ لَا يُيْرِمُهُ  
الْحَاحُ الْمَلْحِينِ، أَذْقْنَا بَرْدَ عَفْوِكَ وَحَلَاوَةَ رَحْمَتِكَ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ  
قَدِيرٌ.<sup>32</sup>

<sup>31</sup> أي كما قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني في العهود المحمدية: "ليظهر باطننا بالتوبة وظاهرنا بالماء، فكما لا تكفي طهارة الباطن عن الظاهر فكذلك لا تكفي طهارة الظاهر عن الباطن كما أشار إليه أمره صلى الله عليه وسلم المتوضئ بالشهادتين، فإن الماء يطهر الظاهر والشهادتين يطهران الباطن، فكأن المتوضئ أسلم إسلاما جديدا وتاب من ذنوبه كما تاب من أسلم من ذنوب الكفر فافهم".

<sup>32</sup> أخرج الدينوري عن محمد بن يحيى قال: بينما علي بن أبي طالب يطوف بالكعبة إذا هو برجل متعلق بأستار الكعبة، وهو يقول: يا من لا يشغله سمع عن سمع ويا من لا يغلطه السائلون يا من لا يتبرم بالباح الملحين أدقني برد عفوك وحلاوة رحمتك، فقال به علي: يا عبد الله دعاؤك هذا؟ قال: وقد سمعته؟ قال: نعم، قال: فادع به في دبر كل صلاة فوالذي نفس الخضر بيده لو كان عليك من الذنوب عدد نجوم السماء ومطرها وحبها الأرض وترابها لغفر لك أسرع من طرفة عين.

ثُمَّ تَصَلِّيْ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَسْتَغْفِرُ لِجَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَتَرْجِعُ إِلَى طَاعَةِ  
اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَتَكُونُ قَدْ تُبْتُ تَوْبَةً نَّصُوحًا، وَقَدْ خَرَجْتَ مِنَ الذُّنُوبِ طَاهِرًا كَيَوْمِ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ وَأَحَبَّكَ اللهُ  
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَادَّخَرَ لَكَ مِنَ الْأَجْرِ وَالنَّوَابِ، وَأَنْزَلَ عَلَيْكَ الْبَرَكَاتِ وَالرَّحْمَةَ مَا لَا يُحِيطُ بِهِ وَصَفُ  
وَأَصِفِ وَيَحْصُلُ لَكَ الْأَمْنُ وَالْإِحْلَاصُ، وَنَجَوْتَ مِنْ غُصَّةِ الْمَعَاصِي، وَبَلَيْتَهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.  
وَاللَّهُ وَلِيُّ التَّوْفِيقِ وَالْهُدَايَةِ بِمَنِّهِ وَفَضْلِهِ.



Institute of Islamic-African Studies International

# SANKORE'

فِي الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا

Institute of Islamic-African Studies International



### بَابُ الزُّهُدِ فِي الدُّنْيَا<sup>33</sup>

ثُمَّ عَلَيْكَ يَا أَخِي بِالزُّهُدِ فِي الدُّنْيَا لِلْمُرِينَ: أَحَدُهُمَا لِنَسْتَقِيمَ عِبَادَتِكَ وَتَكَثَّرَ. فَإِنَّ الرِّغْبَةَ فِيهَا يَشْغَلُكَ  
عَنِ اللَّهِ، إِمَّا ظَاهِرُكَ بِالطَّلَبِ، وَإِمَّا بَاطِنُكَ بِالْإِرَادَةِ، وَحَدِيثَ النَّفْسِ. وَكِلَاهُمَا يَمْنَعُ عَنِ الْعِبَادَةِ. فَإِنَّ النَّفْسَ  
وَاحِدَةً وَالْقَلْبَ وَاحِدًا، فَإِنْ اشْتَغَلَ بِشَيْءٍ انْقَطَعَ عَنْ صُدَّهِ. وَالثَّانِي مِنَ الْأُمْرَيْنِ لِيَكْثُرَ قِيَمَةُ عَمَلِكَ.<sup>34</sup>  
فَإِنْ قُلْتَ: "فَمَا مَعْنَى الزُّهُدِ فِي الدُّنْيَا وَحَقِيقَتُهُ؟" فَاعْلَمْ أَنَّ الزُّهُدَ زُهْدَانٌ: زُهْدٌ مَقْدُورٌ لِلْعَبْدِ؛ وَزُهْدٌ  
غَيْرٌ مَقْدُورٌ. وَالَّذِي هُوَ مَقْدُورٌ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ: تَرَكَ طَلَبَ الْمَقْفُودِ مِنَ الدُّنْيَا؛ وَتَفَرَّقَ الْمَجْمُوعَ مِنْهَا؛ وَتَرَكَ  
إِرَادَتَهَا وَاخْتِيَارَهَا.<sup>35</sup>

وَأَمَّا الزُّهُدُ الَّذِي غَيْرُ مَقْدُورٍ لِلْعَبْدِ فَهُوَ بُرُودَةُ الدُّنْيَا عَلَى قَلْبِ الزَّاهِدِ، لَكِنَّ ذَلِكَ مُقَدِّمَاتٌ لِهَذَا إِنْ  
قَدَرَ عَلَى تِلْكَ أَوْرَثَتْهُ بُرُودَةُ الدُّنْيَا عَلَى قَلْبِهِ لِأَجْلِ اللَّهِ تَعَالَى وَعَظِيمِ ثَوَابِهِ. ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ أَصْعَبَ الْأُمُورِ إِنَّمَا  
هُوَ تَرَكَ الْإِرَادَةَ بِالْقَلْبِ، إِذْ كَمْ مَنْ تَارَكَ لَهَا بِظَاهِرِهِ مُحِبٌّ مُرِيدٌ لَهَا بِبَاطِنِهِ.<sup>36</sup> لَكِنَّ مَنْ اسْتَقَامَ عَلَى  
الْأَوَّلِينَ فَمَأْمُولٌ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يُؤَفِّقَهُ لِدَفْعِ هَذَا الْإِرَادَةَ وَالْإِخْتِيَارِ عَنْ قَلْبِهِ. فَإِنَّهُ  
الْمُتَّفَضِّلُ الْكَرِيمُ عَزَّ وَجَلَّ. ثُمَّ الَّذِي يَبْعَثُ عَلَى الْأَوَّلِينَ ذِكْرُ آفَاتِ الدُّنْيَا. فَالْقَوْلُ الْبَالِغُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الدُّنْيَا  
عَدُوَّةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَنْتَ مُحِبُّهُ. وَمَنْ أَحَبَّ أَحَدًا ابْغَضَ عَدُوَّهُ.<sup>37</sup>  
فَإِنْ قُلْتَ: "فَمَا حُكْمُ الزُّهُدِ فِي الدُّنْيَا؟ أَهُوَ فَرَضٌ أَمْ نَفْلٌ؟" فَاعْلَمْ أَنَّ الزُّهُدَ فِي الْحَرَامِ فَرَضٌ،  
وَفِي الْحَلَالِ نَفْلٌ.<sup>38</sup>

فَإِنْ قُلْتَ: "فَلَا بُدَّ لَنَا قَدْرٌ مِنَ الدُّنْيَا لِيَكُونَ قَوَامًا. فَكَيْفَ نَزْهَدُ فِيهَا؟" فَاعْلَمْ أَنَّ الزُّهُدَ يَجِبُ فِي  
الْفَضُولِ إِذْ هُوَ مِمَّا لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي قَوَامِ الْبِنْيَةِ. فَالْمَقْصُودُ الْقَوَامُ وَالْقُوَّةُ حَتَّى تَعْبُدَ اللَّهَ تَعَالَى، لَا الْأَكْلَ  
وَالشُّرْبَ وَالتَّلَذُّذَ. وَاللَّهُ تَعَالَى إِنْ شَاءَ أَقَامَهَا بِشَيْءٍ وَسَبَّبَ، وَإِنْ شَاءَ أَقَامَهَا بِغَيْرِ سَبَبٍ كَالْمَلَانِكَةِ.

<sup>33</sup> قال الله تعالى: ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا". روى ابن ماجه عن أبي العباس سهل  
ابن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال: "يا رسول الله دلني إلى عمل إذا  
عملته أحببني الله وأحببني الناس؟" فقال: "إزهد في الدنيا يحبك الله وإزهد فيما عند الناس يحبك الناس".

<sup>34</sup> قال الإمام مالك: "الزهد في الدنيا طيب المكنس وقصر الأمل"

<sup>35</sup> قال الإمام مالك: "ما زهد أحد في الدنيا إلا أنطقه الله بالحكمة".

<sup>36</sup> قال عبد الله بن المبارك: "الزاهد الذي إن أصاب الدنيا لم يفرح وإن فاتته لم يحزن".

<sup>37</sup> وقال الإمام أبو القاسم القشيري: اعلم أن التوكل محله القلب، وأما الحركة بالظاهر فلا تنافي التوكل بالقلب بعدما يحقق  
العبد أن الرزق من قبل الله تعالى، فإن تعسر شيء فيتقديره وإن تيسر شيء فيتيسره.

<sup>38</sup> قال الإمام مالك: "طلب الرزق في شبهة أحسن من الحاجة إلى الناس".

ثُمَّ إِنْ شَاءَ بِشَيْءٍ حَاصِلٍ عِنْدَكَ وَبَطَّلَكَ أَوْ كَسَبَكَ، وَإِنْ شَاءَ بِشَيْءٍ غَيْرِهِ يُسَبِّهُ لَكَ مِنْ غَيْرِ طَلَبٍ مِنْكَ وَكَسَبٍ.<sup>39</sup> فَإِذَا لَا تَحْتَاجُ بِحَالَةٍ إِلَى طَلَبٍ وَإِرَادَةٍ.<sup>40</sup> فَإِنْ لَمْ تَقْوَ عَلَى ذَلِكَ وَطَلَبْتَ وَأَرَدْتَ، فَانْوِ بِذَلِكَ الْقُوَّةَ عَلَى عِبَادَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى دُونَ الشُّهُوةِ.<sup>41</sup>

وَبِاللَّهِ التَّوَكُّيفُ



<sup>39</sup> روى الترمذي عن عمر بن الخطاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لَوْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطُّيُورَ تَغْدُوا خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا))، ومعناه لَوْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ، أَي تَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِ، حَقَّ تَوَكُّلِهِ، بَأَن تَعْلَمُوا يَقِينًا أَنَّ لَا فَاعِلَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنْ لَا مَعْطِيَّ وَلَا مَانِعَ إِلَّا هُوَ ثُمَّ تَسْعُونَ فِي الطَّلَبِ بِوَجْهِ جَمِيلٍ وَتَوَكَّلْ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطُّيُورَ تَغْدُوا أَي تَذْهَبُ أَوَّلَ النَّهَارِ، خِمَاصًا جَمْعُ خَمِيصٍ أَي جِيَاعًا، وَتَرُوحُ أَي تَرْجِعُ آخِرَ النَّهَارِ، بَطَانًا جَمْعُ بَطِينٍ، وَهُوَ عَظِيمُ الْبَطْنِ وَالْمَرَادُ شِبَاعًا. قَالَ الْمَنَاوِي أَي تَغْدُو بَكْرَةً وَهِيَ جِيَاعٌ وَتَرُوحُ عِشَاءً وَهِيَ مَمْتَلِئَةٌ الْأَجْوَافِ، فَالْكَسْبُ لَيْسَ بِرَازِقِ بَلِ الرَّازِقُ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى فَأَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ التَّوَكُّلَ لَيْسَ التَّبَطُّلَ وَالتَّعَطُّلَ، بَلِ لَا يَدُ فِيهِ مِنَ التَّوَصُّلِ بِنَوْعٍ مِنَ السَّبَبِ لِأَنَّ الطَّيْرَ تَرْزُقُ بِالسَّعْيِ وَالطَّلَبِ، وَلِهَذَا قَالَ أَحْمَدُ: لَيْسَ فِي الْحَدِيثِ مَا يَدُلُّ عَلَى تَرْكِ الْكَسْبِ بَلِ فِيهِ مَا يَدُلُّ عَلَى طَلَبِ الرِّزْقِ، وَإِنَّمَا أَرَادَ لَوْ تَوَكَّلُوا عَلَى اللَّهِ فِي ذَهَابِهِمْ وَمَجِيئِهِمْ وَتَصَرُّفِهِمْ وَعَلِمُوا أَنَّ الْخَيْرَ بِيَدِهِ لَمْ يَنْصَرَفُوا إِلَّا غَانِمِينَ سَالِمِينَ كَالطَّيْرِ. لَكِنْ اعْتَمَدُوا عَلَى قُوَّتِهِمْ وَكَسْبِهِمْ ذَلِكَ لَا يَنَافِي التَّوَكُّلَ.

<sup>40</sup> قَالَ الشَّيْخُ مُلَايَ الْعَرَبِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "النَّاسُ تَقْضَى حَوَائِجُهُمْ بِالْحَرِصِ فِيهَا وَ الْجَرِي عَلَيْهَا، وَنَحْنُ نَقْضَى حَوَائِجَنَا بِالزُّهْدِ فِيهَا وَ الْأَشْتِغَالِ بِاللَّهِ عَنْهَا".

<sup>41</sup> وَقَالَ الشَّيْخُ أَبُو حَامِدٍ: وَقَدْ يَظُنُّ أَنَّ مَعْنَى التَّوَكُّلِ تَرْكِ الْكَسْبِ بِالْبَدَنِ وَتَرْكِ التَّدْبِيرِ بِالْقَلْبِ وَالسَّقُوطَ عَلَى الْأَرْضِ كَالْخَرْقَةِ الْمَلْقَاةِ أَوْ كَلْحَمٍ عَلَى وَضْمٍ، وَهَذَا ظَنُّ الْجَهَالِ، فَإِنَّ ذَلِكَ حَرَامٌ فِي الشَّرْعِ، وَالشَّرْعُ قَدْ أَتَى عَلَى الْمُتَوَكِّلِينَ فَكَيْفَ يَنَالُ مَقَامَ مِنْ مَقَامَاتِ الدِّينِ مُحْظُورٍ مِنْ مُحْظُورَاتِ الدِّينِ، بَلِ نَكْشَفَ عَنِ الْحَقِّ فِيهِ فَنَقُولُ: إِنَّمَا يَظْهَرُ تَأْتِيرُ التَّوَكُّلِ فِي حَرَكَةِ الْعَبْدِ وَسَعْيِهِ بِعَمَلِهِ إِلَى مَقَاصِدِهِ.

# SANKORE'



Institute of Islamic-African Studies International

## بَابُ فِي الْعُزْلَةِ

ثُمَّ عَلَيْكَ يَا أَخِي بِالنَّفَرْدِ عَنِ الْخَلْقِ لِلْمُرَيْنِ: أَحَدُهُمَا أَنَّهُمْ يَشْغَلُونَكَ عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛<sup>42</sup> وَالثَّانِي يُفْسِدُونَ عَلَيْكَ مَا يَحْصُلُ مِنَ الْعِبَادَةِ إِنْ لَمْ يَعْصِمَكَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِسَبَبِ الرِّيَاءِ وَالتَّرْتِيبِ لَهُمْ.<sup>43</sup>

وَاعْلَمْ يَا أَخِي أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَفَ زَمَانَ الْعُزْلَةِ وَبَيَّنَّ نَعْتَ أَهْلِهِ وَأَمْرَ فِيهِ بِالنَّفَرْدِ. وَكَانَ لَا مَحَالَةَ أَعْلَمَ بِالْمَصَالِحِ وَأَنْصَحَ مِنَّا لَأَنْفُسِنَا.<sup>44</sup> ثُمَّ إِنَّ السَّلْفَ الصَّالِحِينَ رَضُوا اللَّهَ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ أَجْمَعُوا عَلَى التَّحْذِيرِ مِنْ زَمَانِهِمْ وَأَهْلِهِ وَأَثَرُوا الْعُزْلَةَ وَأَمَرُوا بِذَلِكَ وَتَوَاصَوْا بِهِ. وَلَا شَكَّ أَنَّهُمْ كَانُوا أَبْصَرَ وَأَنْصَحَ. وَأَنَّ الزَّمَانَ لَمْ يَصِرْ بَعْدَهُمْ خَيْرًا، بَلْ أَشْرُ وَأَمْرٌ تَرَاهُ بَعَيْنِكَ.<sup>45</sup>

<sup>42</sup> قَالَ الشَّيْخُ إِبْنُ عَطَاءٍ اللَّهُ فِي الْحَكَمِ: "اذْفِنْ وَجُودَكَ فِي أَرْضِ الْخَمُولِ، فَمَا نَبَتَ مِمَّا لَمْ يُدْفَنَ لَا يَبْتِمُ نَتَاجُهُ."  
<sup>43</sup> قَالَ الشَّيْخُ وَأَمِيرُ الْجَيْشِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ فُودَى مُحَمَّدٌ فِي كِتَابِهِ ضِيَاءَ أَوْلَى الْأَمْرِ وَالْمُجَاهِدِينَ: "أَنَّ أَوَّلَ مَا أُبْتَدِيَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ النَّبُوءَةِ الرَّؤْيَا الصَّادِقَةُ وَحُبُّ اللَّهِ إِلَيْهِ الْخُلُوةُ. ثُمَّ أَتَاهُ الْمَلِكُ بِالْوَحْيِ فِي غَارِ حِرَاءٍ بِسُورَةِ: أَقْرَأ. فَأَخْبِرَ ذَلِكَ زَوْجَتَهُ خَدِيجَةَ، وَقَالَ: "لَقَدْ خَشَيْتُ عَلَى نَفْسِي." قَالَتْ لَهُ: "كَلَّا أَبْشِرْ فَوَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلَ الرَّحْمَ وَتَصَدَّقَ الْحَدِيثَ وَتَحْمَلَ الْكُلَّ وَتَكْسِبَ الْمَعْدُومَ وَتَقْرَى الضَّيْفَ وَتَعِينَ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ. يَنْبَغِي لِكُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَبْدَأَ بِرِيَاضِي نَفْسِهِ بِالْخُلُوةِ."  
<sup>44</sup> وَأَخْرَجَ الْمُسْلِمَ عَنْ أَبِي بَكْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَنْهَا سَتَكُونُ فِتْنٌ، أَلَا تَمَّ تَكُونُ فِتْنَةٌ الْقَاعِدِ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي فِيهَا، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي إِلَيْهَا، أَلَا فَإِذَا نَزَلَتْ أَوْ وَقَعَتْ فَمَنْ لَهُ إِبِلٌ فَلْيَلْحِقْ بِإِبِلِهِ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ غَنَمٌ فَلْيَلْحِقْ بِغَنَمِهِ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ فَلْيَلْحِقْ بِأَرْضِهِ." فَقَالَ رَجُلٌ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِبِلٌ وَلَا غَنَمٌ وَلَا أَرْضٌ؟" قَالَ: "يَعْمُدُ عَلَى سَيْفِهِ فَيَدِقُّ عَلَى حِدِّهِ بِحَجَرٍ ثُمَّ لَيَنْجُ إِنْ اسْتَطَاعَ النِّجَاءَ." وَفِي صَحِيحِ الْمُسْلِمِ أَيْضًا عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَأَنَّ أُمَّتِي سَيَلِّغُ مَلِكُهَا مَا زَوَى لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيَتِ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِمَتِّي أَنْ لَا يَهْلِكَهَا بَسَنَةٌ بَعَامَةٌ وَأَنْ لَا يَسْلُطَ عَلَيْهِمْ عَدُوٌّ مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ يَسْتَبِيحُ بِيضَتَهُمْ وَإِنْ رَبِّي قَالَ "يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتَ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يَرُدُّ وَإِنِّي أُعْطِيْتُكَ لَأُمَّتِكَ أَنْ لَا أَهْلِكُهَا بَسَنَةٌ بَعَامَةٌ وَأَنْ لَا أَسْلُطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ يَسْتَبِيحُ بِيضَتَهُمْ وَلَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مِنْ بَاطَرِهَا أَوْ قَالَ مِنْ بَيْنِ أَفْطَارِهَا حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يَهْلِكُ بَعْضًا وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا."

<sup>45</sup> وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُودَ: "إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعَيْنَةِ (أَيِ الْمُرَابِحَةِ) وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ وَرَضَيْتُمْ بِالزَّرْعِ وَتَرَكْتُمْ الْجِهَادَ، سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا. لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ." فَقَدْ ظَهَرَ فِي الْمُسْلِمِينَ الْخِصَالُ الْمَذْمُومَةُ الَّتِي عُدَّتْ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ. فَمِنْ هَذِهِ الْخِصَالِ: يَقِلُّ الْعِلْمُ؛ وَيُظْهِرُ الْجَهْلَ؛ وَيُظْهِرُ الزُّنْبَى؛ وَعُلُوُّ أَهْلِ الْفِسْقِ فِي الْمَسَاجِدِ؛ وَظُهُورُ أَهْلِ الْمُنْكَرِ عَلَى أَهْلِ الْمَعْرُوفِ. وَهَذَا كُلُّهُ قَدْ ظَهَرَ عَيْنَانَا. فَمِنْ هَذِهِ الْخِصَالِ الَّتِي ذَكَرَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. إِذَا رَأَيْتُمُ النَّاسَ أَمَاتُوا الصَّلَاةَ، وَأَضَاعُوا الْأَمَانَةَ، وَكَلَّوْا الرَّبُّوَّةَ، وَاسْتَحَلُّوا الْكَذِبَ، وَاسْتَخَفُّوا بِالذَّمِّ، وَاسْتَحَلُّوا بِالْبِنَاءِ، وَبَاعُوا الدِّينَ بِالْدُنْيَا، وَتَقَطَّعَتِ الْأَرْحَامُ، وَيَكُونُ الْحُكْمُ ضَعْفًا، وَالْكَذِبُ صِدْقًا، وَالْحَرِيرُ لِبَاسًا، وَظَهَرَ الْجَوْرُ، وَكَثُرَ الطَّلَاقُ، وَمَوَتْ الْفَجَاءَةُ، وَاتَّمَنَ الْخَائِنُ، وَخَوَّنَ الْأَمِينُ، وَصَدَّقَ الْكَاذِبُ، وَكُذِّبَ الصَّادِقُ، وَكَثُرَ الْقَذْفُ، وَكَانَ الْأَمْرُ أَجْرَةً، وَالْوَزْرُ كَذِبَةً، وَالْأَمْنَاءُ خَوْنَةً، وَالْعُرْفَاءُ ظَلَمَةً، وَالْقُرَاءُ فَسَقَةً، وَتَكَثَّرَ الْخَطَايَا، وَتَقَلَّ الْأَمْرَاءُ، وَأُرْخِيَتِ السُّنُورُ،

فَإِنْ قُلْتُ: "بَيِّنْ لَنَا حُكْمَ الْعُزْلَةِ وَالتَّفَرُّدِ عَنِ النَّاسِ وَالْحَدِّ الَّذِي يَجِبُ مِنْهُ؟" فَاعْلَمْ أَنَّ النَّاسَ فِي هَذَا الْبَابِ رَجَالَنْ: [1] رَجُلٌ لَا حَاجَةَ لِلخَلْقِ إِلَيْهِ فِي عِلْمٍ وَبَيَانِ حُكْمٍ. فَالْأَوْلَى بِهَذَا الرَّجُلِ التَّفَرُّدُ عَنِ النَّاسِ، فَلَا يُخَالِطُهُمْ إِلَّا فِي جُمُعَةٍ أَوْ جَمَاعَةٍ أَوْ عِيدٍ أَوْ حَجٍّ أَوْ مَجْلِسِ عِلْمٍ السُّنَّةِ أَوْ حَاجَةٍ فِي مَعِيشَةٍ، وَإِلَّا فَالْيُورِ شَخْصَهُ وَيَلْزَمَ مَكَنَهُ لَا يَعْرِفُ وَلَا يُعْرَفُ.<sup>46</sup>

فَإِنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْطَعَ عَنْهُمْ الْبَيْتَةَ لَا يَسَعُهُ ذَلِكَ إِلَّا بِأَمْرَيْنِ: [أ] إِمَّا أَنْ يَصِيرَ إِلَى مَوْضِعٍ لَا تَلْزَمُهُ هَذِهِ الْفَرَائِضُ، كَرُعُوسِ الْجِبَالِ وَبُطُونِ الْأَوْدِيَةِ؛ [ب] إِمَّا أَنْ يَتَيَقَّنَ أَنَّ الضَّرُورَةَ الَّتِي تَلْحَقُهُ فِي مُخَالَطَةِ النَّاسِ بِسَبَبِ هَذِهِ الْفَرَائِضِ أَعْظَمُ فِيهِ مِنْ تَرْكِهَا. وَلَكِنْ الطَّرِيقُ الْعَدْلُ فِيهِ هُوَ الْأَوَّلُ بَأَنَّ يُشَارِكَ النَّاسَ فِيمَا أَمْرُوا.

[2] وَأَمَّا الرَّجُلُ الثَّانِي فَرَجُلٌ يَكُونُ قُدْوَةً فِي الْعِلْمِ بِحَيْثُ يَحْتَاجُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِي أَمْرِ دِينِهِمْ لِبَيَانِ حَقٍّ أَوْ رَدِّ عَلَى مُبْتَدِعٍ أَوْ دَعْوَةٍ إِلَى خَيْرٍ بِفِعْلٍ وَقَوْلٍ. فَلَا يَسَعُ هَذَا الرَّجُلُ الْإِعْتِزَالَ عَنِ النَّاسِ، بَلْ يَنْصَبُ نَفْسَهُ بَيْنَهُمْ نَاصِحًا لِعِبَادِ اللَّهِ، وَأَظْبًا عَلَى دِينِ اللَّهِ تَعَالَى، وَمُبَيِّنًا لِحُكْمِ اللَّهِ تَعَالَى. لَكِنْ يَحْتَاجُ إِلَى أَمْرَيْنِ فِي صُحْبَتِهِمْ: أَحَدُهُمَا عِلْمٌ طَوِيلٌ وَصَبْرٌ طَوِيلٌ وَنَظَرٌ لَطِيفٌ وَاسْتِعَانَةٌ بِاللَّهِ دَائِمَةٌ. الثَّانِي أَنْ يَكُونَ مُتَفَرِّدًا عَنْهُمْ وَإِنْ كَانَ بِالشَّخْصِ مَعَهُمْ. ثُمَّ يَحْتَاجُ مَعَ ذَلِكَ أَنْ يَنْظُرَ لِنَفْسِهِ حِظًّا مِّنَ الْعِبَادَةِ الْخَالِصَةِ خَاصَّةً.

فَإِنْ قُلْتُ: "مَا تَقُولُ فِي مَدَارِسِ عُلَمَاءِ الْأَخْرَةِ وَالْكُونِ فِيهَا؟" فَاعْلَمْ أَنَّ تِلْكَ الطَّرِيقَةَ هِيَ الطَّرِيقَةُ الْمُدَلَّى فِي هَذَا الشَّأْنِ لِعَمَّةِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْإِجْتِهَادِ.

فَإِنْ قُلْتُ: "مَا حُكْمُ الْمُجْتَهِدِ الَّذِي يُرِيدُ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ بَيْنِ عُلَمَاءِ الْأَخْرَةِ وَمَدَارِسِهِمْ لِصَلَاحِ يَرَاهُ فِي نَفْسِهِ؟" فَاعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الْمَدَارِسَ بِمَنْزِلَةِ الْحِصْنِ يَتَحَصَّنُ بِهَا الْمُجْتَهِدُ عَنِ الْقَطَاعِ وَالسَّرَاقِ وَأَنَّ الْخَارِجَ بِمَنْزِلَةِ الصَّحْرَاءِ تَدُورُ فِيهَا فُرْسَانُ الشَّيَاطِينِ. فَإِذَا لَيْسَ لِلضَّعِيفِ إِلَّا لُزُومُ الْحِصْنِ. وَأَمَّا الرَّجُلُ الْقَوِيُّ الْبَصِيرُ الَّذِي لَا تَغْلِبُهُ الْأَعْدَاءُ وَاسْتَوَى عِنْدَهُ الْحِصْنُ وَالصَّحْرَاءُ، فَلَا عَلَيْهِ إِذَا خَرَجَ غَيْرَ أَنْ الْكُونُ مَعَ الْحِصْنِ أَحْوْطُ عَلَى كُلِّ حَالٍ. فَالْكُونُ مَعَ رِجَالِ اللَّهِ تَعَالَى وَالصَّبْرُ عَلَى مَشَقَّةِ الصُّحْبَةِ أَوْلَى لَكِنْ لَا مَانِعَ لِلْقَوِيِّ الْبَالِغِ مَبْلَغِ الْإِسْتِقَامَةِ عَنِ التَّفَرُّدِ عَنْهُمْ.

وَشُرِبَتْ الخُمُورُ، وَعُطِلَتِ الحُدُودُ، وَوَلَدَتِ الْأُمَّةُ رِبَّتَهَا، وَتُرَى الحِفَاةَ العُرَاةَ قَدْ صَارُوا مُلُوكًا، وَتَشَبَّهَ الرَّجَالُ بِالنِّسَاءِ وَالنِّسَاءُ بِالرِّجَالِ، وَتَفَقَّهَ لِغَيْرِ الدِّينِ، وَطَلَبَتِ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْأَخْرَةِ، وَكَانَ زَعِيمُ الْقَوْمِ أَرْزَالَهُمْ، وَعَقَّ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَجَفَأَ أُمَّهُ وَبَرَّ صَدِيقَهُ وَأَطَاعَ زَوْجَتَهُ، وَعَلَتِ أَصْوَاتُ الفِسْقَةِ فِي الْمَسَاجِدِ، وَلَعَنَ آخِرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَوْلَهَا .

<sup>46</sup> قال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه: ثمارُ العزلة الظفرُ بمواهبِ المنة: وهي أربعة: [1] كشف الغطاء، [2] وتنزل الرحمة، [3] وتحقق المحبة، [4] ولسان الصدق.

فَإِنْ قُلْتُ: "مَا تَقُولُ فِي زِيَارَةِ الْإِخْوَانِ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمُوَاصَلَةِ الْأَصْحَابِ فِي التَّلَاقِي وَالتَّذَكُّرِ؟"  
فَاعْلَمْ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ جَوَاهِرِ عِبَادَةِ اللَّهِ لَكِنْ بِشَرْطَيْنِ: أَحَدُهُمَا عَدَمُ الْإِكْتِنَارِ؛ وَالثَّانِي تَجَنُّبُ الرِّيَاءِ وَالتَّزْيِينِ  
وَقَوْلِ اللُّغْوِ وَالْغَيْبَةِ. أَمَّا مَا يَحْمِلُكَ عَلَى الْعَزَلَةِ وَالتَّفَرُّدِ عَنِ النَّاسِ ثَلَاثَةٌ أُمُورٍ: [1] إِسْتِغْرَاقُ الْأَوْقَاتِ فِي  
الْعِبَادَةِ؛ [2] وَقَطْعُ الطَّمَعِ عَنْهُمْ؛ [3] وَمَا عَلِمْتَ مِنْ عَافَاتِهِمْ.  
وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.



Institute of Islamic-African Studies International

# SANKORE'



Institute of Islamic-African Studies International



## بَابُ مُحَارَبَةِ الشَّيْطَانِ<sup>47</sup>

ثُمَّ عَلَيْكَ يَا أَخِي بِمُحَارَبَةِ الشَّيْطَانِ وَقَهْرِهِ لِخَصْلَتَيْنِ: أَحَدُهُمَا لِأَنَّهُ عَدُوٌّ لَا يُقْبَعُهُ إِلَّا هَلَاكُكَ؛ وَالْخَصْلَةُ الثَّانِيَةُ: أَنَّهُ مَجْبُودٌ عَلَى عِدَاوَتِكَ وَمُنْتَصِبٌ أَبَدًا لِمُحَارَبَتِكَ.

كَيْفَ يَكُونُ الْحَالُ إِذَا كُنْتَ مُجْتَهِدًا فِي عِبَادَةِ اللَّهِ وَدَعْوَةِ الْخَلْقِ إِلَى بَابِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِفِعْلِكَ وَقَوْلِكَ، وَهَذَا ضِدُّ صَنْعِيهِ، كَأَنَّكَ إِذَا شَدَدْتَ وَسَطَكَ لِتُغَايِظَ الشَّيْطَانَ فَهُوَ أَيْضًا يَشُدُّ وَسَطَهُ لِيُقَاتِلَكَ، فَلَهُ إِذَا مَعَ سَائِرِ النَّاسِ عِدَاوَةٌ عَامَّةٌ وَمَعَكَ عِدَاوَةٌ خَاصَّةٌ. ثُمَّ لَهُ أَعْوَانٌ عَلَيْكَ أَشَدُّهَا نَفْسُكَ وَهَوَاكَ. ثُمَّ إِنَّكَ مَشْغُولٌ وَالشَّيْطَانُ فَارِغٌ، ثُمَّ إِنَّهُ يَرَاكَ وَأَنْتَ لَا تَرَاهُ، وَأَنْتَ تَنْسَاهُ وَهُوَ لَا يَنْسَاكَ. فَإِذَا لَا بُدَّ مِنْ مُحَارَبَتِهِ وَقَهْرِهِ. وَإِلَّا فَلَا تَأْمَنُ مِنَ الْفَسَادِ.

فَإِنْ قُلْتَ: بِأَيِّ شَيْءٍ أُحَارِبُ الشَّيْطَانَ؟ وَبِأَيِّ شَيْءٍ أَقْهَرُهُ؟ فَاعْلَمْ أَنَّ ذَلِكَ طَرِيقَانِ: أَحَدُهُمَا أَنْ التَّدْبِيرَ فِي دَفْعِهِ الْإِسْتِعَاذَةَ بِاللَّهِ تَعَالَى فَإِنَّ الشَّيْطَانَ كَلَبٌ سَلَطَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْكَ. وَالثَّانِي الْقِيَامَ عَلَيْهِ بِالْدَّفْعِ وَالْمُخَالَفَةِ بَعْدَ الْإِسْتِعَاذَةِ بِاللَّهِ، إِذْ هُوَ الْكَافِي شَرُّهُ لَا أَنْتَ. ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ مُحَارَبَتَهُ وَقَهْرَهُ فِي ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ: الْأَوَّلُ أَنْ تُدِيمَ بِذِكْرِ اللَّهِ بِلِسَانِكَ وَقَلْبِكَ. وَالثَّانِي أَنْ يَسْتَحْفَ بِدَعْوَتِهِ لَا تَعْلُقَ قَلْبَكَ بِذَلِكَ وَلَا تَتَّبِعْهُ. وَالثَّلَاثُ أَنْ تَتَعَلَّمَ مَكَائِدَهُ وَحِيلَهُ.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ نَعْلَمُ؟ أَنْ مَكَائِدَهُ لَهُ وَسَاوِيسٌ بِمَنْزِلَةِ السَّهَامِ الَّتِي يَرْمِيهَا، وَلَهُ حَيْلٌ بِمَنْزِلَةِ الشَّبَكَاتِ الَّتِي يَنْصُبُهَا. يَتَّبِعُ لَكَ الْوَسَاوِيسُ بِمَعْرِفَةِ الْخَوَاطِرِ، وَتَبَيَّنَ لَكَ الْحَيْلُ بِمَعْرِفَةِ الْمَكَائِدِ. وَتِلْكَ الْخَوَاطِرُ أَرْبَعَةٌ أَقْسَامٌ: [1] قِسْمٌ مِنْ قَبْلِ اللَّهِ تَعَالَى بِلَا وَسِطَةٍ، وَيَكُونُ بِالْخَيْرِ إِكْرَامًا وَالْإِزْمَامًا لِلْحُجَّةِ، وَيَكُونُ بِالْشَّرِّ إِمْتِحَانًا وَتَغْلِيظًا لِلْمَحْنَةِ، عَلَامَتُهُ أَنْ يَكُونَ مُصَمَّمًا فِي الْوَجْهَيْنِ رَانِبًا عَلَى حَالَةٍ وَاحِدَةٍ. [2] قِسْمٌ بِوَسِطَةِ مَلِكٍ لَا يَكُونُ إِلَّا بِخَيْرٍ إِذْ هُوَ نَاصِحٌ مُرْشِدٌ لَمْ يُرْسَلْ إِلَّا بِذَلِكَ، عَلَامَتُهُ أَنْ يَكُونَ مُتَرَدِّدًا إِذْ هُوَ بِمَنْزِلَةِ نَاصِحٍ يَدْخُلُ مَعَكَ فِي كُلِّ وَجْهٍ وَيُعْرِضُ عَلَيْكَ كُلَّ نَصِيحٍ رَجَاءً إِجَابَتِكَ وَرَغْبَتِكَ فِي الْخَيْرِ. [3] وَقِسْمٌ بِوَسِطَةِ شَيْطَانٍ لَا يَكُونُ إِلَّا بِشَرٍّ إِغْوَاءً، عَلَامَتُهُ أَنْ يَكُونَ مُتَرَدِّدًا مُضْطَرِبًا. [4] وَقِسْمٌ بِوَسِطَةِ هَوَى النَّفْسِ لَا يَكُونُ إِلَّا بِشَرٍّ وَمَا لَا خَيْرَ فِيهِ تَصْنَعًا وَنَعْسَفًا، عَلَامَتُهُ أَنْ يَكُونَ مُصَمَّمًا وَمَائِلًا إِلَى الشَّهَوَاتِ وَاللَّذَاتِ كَيْفَ كَانَتْ.

<sup>47</sup> قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ قال سلطان الأولياء الشيخ عبد القادر الجيلاني: فقد أمر الله تعالى بمحاربتة ومجاهدته في السر والعلانية، والطاعة والمعصية، وأعلم العباد بأنه قد عادى الله عز وجل في عبده ونبيه وصفيه وخليفته في الارض آدم عليه السلام، وضارّه في ذريته، وأنه لا ينام إذا نام الأدمي، ولا يغفل إذا غفل الأدمي، ولا يسهو إذا سها في نومه ويقظته، مجتهد في عطف الأدمي وهلاكه.

ثُمَّ لِلأَقْسَامِ الأَرْبَعَةِ عَلامَاتٌ أُخْرَى: [1] ما كانَ بِخَيْرٍ عَقِيبَ إِجْتِهَادٍ أَوْ كانَ بِشَرٍّ عَقِيبَ ذَنْبٍ، فَهُوَ مِنَ اللَّهِ. [2] وَمَا كانَ بِشَرٍّ لَكِنَّهُ يَضْعُفُ بِذِكْرِ اللَّهِ أَوْ كانَ بِشَرٍّ مُبْتَدِئًا لا عَقِيبَ ذَنْبٍ، فَهُوَ مِنَ الشَّيْطَانِ. [3] وَمَا كانَ بِخَيْرٍ مُبْتَدِئًا، فَهُوَ مِنَ المَلَكِ. [4] وَمَا كانَ بِشَرٍّ لا يَضْعُفُ بِذِكْرِ اللَّهِ، فَهُوَ مِنْ هَوَى النَفْسِ.

ثُمَّ مَوازِينِكَ ثَلاثَةٌ إِنْ أَرادْتَ أَنْ تَفَرِّقَ بَينَ خَاطِرِ الخَيْرِ مُطَلَقًا لِتَتَّبِعَهُ وَخَاطِرِ الشَّرِّ لِتَجْتَنِبَهُ: الأَوَّلُ الشَّرْعُ ما وَافَقَهُ خَيْرٌ؛ وَالثَّانِي إِفْتِدَاءٌ بِالصَّالِحِينَ ما وَافَقَهُ خَيْرٌ؛ وَالثَّالِثُ عَرَضُ النَفْسِ عَلى الخَاطِرِ، ما نَفَرَ طَبَعُهُ خَيْرٌ، وَقَدِ عَرَفْتَ عَكْسَ كُلِّ وَاحِدٍ مَنها. هَذا حَدٌّ ما يَلزِمُكَ مَعْرِفَتُهُ فِي الخَواطِرِ وَأَنعِمِ النَّظَرَ فِيها ما اسْتَطَعْتَ فَإِنَّها مِنَ العُلُومِ اللطِيفَةِ وَالأسرارِ الشَّرِيفَةِ وَاللَّهُ المَوقِفُ بِفَضْلِهِ.

وَأَمَّا حِيلُهُ مَعَطٌ فَسَبْعَةٌ أَوْجُهٌ: [الأوَّلُ] أَنْ يَنهاكَ عَنِ الطَّاعَةِ فَارُدُّهُ إِنْ عَصَمَكَ اللَّهُ بِإِنَّكَ مُحتَاجٌ إِلى ذَلكِ الطَّاعَةِ لِتَنزِوَدَ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيا لِلاخِرَةِ الَّتِي لا انْقِضاءَ لَها، [وَالثَّانِي] أَنْ يَأْمُرَكَ بِالتَّسْوِيفِ فَارُدُّهُ إِنْ عَصَمَكَ اللَّهُ بِأَنَّ أَجَلَكَ لَيسَ بِيدِكَ، [وَالثَّالِثُ] أَنْ يَأْمُرَكَ بِالعُجْلةِ فيقولُ لَكَ عَجَلٌ لِتَنفَرَّغَ لِكَذا وَكَذا، فَارُدُّهُ إِنْ عَصَمَكَ اللَّهُ بِأَنَّ قَليلَ العَمَلِ مَعَ التَّمامِ خَيْرٌ مِّنْ كَثيرِهِ مَعَ النُّقْصانِ، [وَالرَّابِعُ] أَنْ يَأْمُرَكَ بِإِتمامِهِ رِياءً، فَارُدُّهُ إِنْ عَصَمْتَ اللَّهُ بِأَنَّ رُويَةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ تَكْفِيكَ، [وَالخامِسُ] أَنْ يَوقِعَكَ فِي العُجْبِ فيقولُ لَكَ ما أَعظَمَكَ وَمَا أَيقظَكَ فَارُدُّهُ إِنْ عَصَمَكَ اللَّهُ بِأَنَّ طَاعتَكَ مِنَّةٌ مِنَ اللَّهِ دُونَكَ وَلَوْ لا فَضَّلَ اللَّهُ فَمَذا قِيمَةُ هَذا العَمَلِ فِي جَنبِ نِعَمِ اللَّهِ تَعالَى، [وَالسَّادِسُ] وَهُوَ أَعظَمُها أَنْ يَقُولَ لَكَ إِجْتِهَدُ فِي السِّرِّ فَإِنَّ اللَّهَ تَعالَى سَيُظهِرُهُ عَليكَ، فَارُدُّهُ إِنْ عَصَمَكَ اللَّهُ بِأَنَّكَ عَبْدٌ لِلَّهِ تَعالَى وَهُوَ سَيِّدُكَ إِنْ شاءَ أَظْهَرَكَ وَإِنْ شاءَ أَخْفَى، وَإِنْ شاءَ جَعَلَكَ خَطيْرًا وَإِنْ شاءَ جَعَلَكَ حَقيْرًا، وَذَلكَ إِلَيْهِ لا تَبالِي إِنْ أَظْهَرَ ذَلكَ لِلناسِ أَوْ لَمْ يُظْهَرِ، فَلَيسَ بِأيدِيهِمْ شَيءٌ، [وَالسَّابِعُ] أَنْ يَقُولَ لَكَ لا حَاجَةَ إِلى هَذا العَمَلِ فَإِنَّكَ إِِنْ خَلَقْتَ سَعِيدًا لَأ يَضُرَّكَ تَرْكُهُ، وَإِنْ كُنْتَ شَقِيًّا لَأ يَنفَعَكَ فَعَلُهُ، فَارُدُّهُ إِنْ عَصَمَكَ اللَّهُ بِأَنَّكَ عَبْدٌ وَعَلى العَبْدِ امْتِثالُ الأَمْرِ لِعبُودِيَّتِهِ، فَالرَّبُّ أَعْلَمُ بِرُبُوبِيَّتِهِ وَذَلكِ العَمَلِ يَنفَعُكَ عَلى كُلِّ حالٍ إِنْ خَلَقْتَ سَعِيدًا يَنفَعُكَ بِرِياذَةِ الثَّوابِ، وَإِلا لا يُعاقِبُكَ اللَّهُ عَلى الطَّاعَةِ بِكُلِّ حالٍ، وَلا يَضُرُّكَ عَلى أَنَّكَ إِنْ دَخَلْتَ النَّارَ وَأَنْتَ مُطِيعٌ أَحَبُّ إِلَيْكَ مِنْ أَنْ تَدْخُلَها وَأَنْتَ عاصٍ، وَكَيْفَ تَدْخُلُ النَّارَ وَوَعَدُ اللَّهِ حَقٌّ، وَقَوْلُهُ صَدَقٌ وَقَدِ وَعَدَ عَلى الطَّاعَةِ بِالثَّوابِ فَمَنْ لَقِيَ اللَّهَ تَعالَى عَنِ الإِيمانِ وَالطَّاعَةِ لَمْ يَدْخُلِ النَّارَ البَتَّةَ وَاسْتَحْقاقُ الجَنَّةِ بِوَعْدِ اللَّهِ الصَّادِقِ لا بِالعَمَلِ وَلِهذا المَعنى أَخْبَرَ اللَّهُ تَعالَى ذَلكَ بِقَوْلِهِ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعَدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَّبِعُ مِنْ الجَنَّةِ حَيْثُ نَشاءُ﴾، فَتَيَقِّظُ يا أُخِي فَإِنَّ الأَمْرَ كَما تَرى وَاسْتَعِنَ بِاللَّهِ وَاسْتَعَدَّ بِهِ فَإِنَّ الأَمْرَ بِيدِهِ وَمِنهُ التَّوفيقُ وَلا حَولَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ العَليِّ العَظيمِ.



# SANKORE'



Institute of Islamic-African Studies International

## بَابُ مُجَاهِدَةِ النَّفْسِ

ثُمَّ عَلَيْكَ يَا أَخِي بِمُجَاهِدَةِ النَّفْسِ وَالْحَذَرِ مِنْهَا لِلْمُرَيْنِ: أَحَدُهُمَا أَنَّهُ عَدُوٌّ مِّنْ دَاخِلِ الْبَيْتِ؛ وَالثَّانِي أَنَّهُ عَدُوٌّ وَمَحْبُوبٌ وَالْإِنْسَانُ أَعْمَى عَنِ عَيْبِ مَحْبُوبِهِ.

فَإِن قُلْتُ: "مَا عِلَاجُ النَّفْسِ؟" فَاعْلَمْ أَنَّ ذَلِكَ طَرِيقٌ بَيْنَ طَرِيقَيْنِ تَقْوِيهَا بِقَدْرِ مَا تَفْعَلُ الْخَيْرَ وَتَضَعُفُهَا وَتَحْبِسُهَا عَلَى حَدٍّ لَا تَتَمَادَى. ثُمَّ اعْلَمْ يَا أَخِي تَذَلُّ النَّفْسِ وَتُكْسَرُ هَوَاهَا بِثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ: مَنَعُ الشَّهْوَةِ؛ وَحَمَلُ أَثْقَالِ الْعِبَادَةِ؛ وَالِاسْتِعَانَةُ بِاللَّهِ، وَالِإِلَّا فَلَا مَخْلَصَ. وَبِمَا ذَكَرْنَا تَتِمُّكَ أَنْ تَلْجُمَهَا بِلِجَامِ النَّقْوَى. وَمَنَازِلُ النَّقْوَى ثَلَاثَةٌ: تَقْوَى عَنِ الشَّرِّ؛ وَتَقْوَى عَنِ الْبِدْعَةِ وَتَقْوَى عَنِ الْمَعَاصِي، وَزَادَ الْغَزَالِيُّ تَقْوَى بِمَعْنَى اجْتِنَابِ الْفُضُولِ وَحَدُّ النَّقْوَى اجْتِنَابُ مَا تَحْتَاجُ مِنْهُ ضَرَرًا فِي دِينِكَ.

فَإِن قُلْتُ: فَصَلِّ لَنَا هَذَا الْمَعْنَى فِي النَّفْسِ لِنَعْلَمَ كَيْفَ نَلْجُمُ هَذِهِ النَّفْسَ بِالنَّقْوَى. فَأَقُولُ إِنَّمَا تَفْصِيلُهُ فِيهَا أَنْ تَقُومَ بِقُوَّةِ الْعَزْمِ فَتَمْنَعُهَا عَنِ كُلِّ مَعْصِيَةٍ وَتَصُونَهَا عَنِ كُلِّ فَضُولٍ. وَأَمَّا الَّذِي لَا بُدَّ مِنْهُ أَنْ نَقُولَ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْتَقِيَ اللَّهَ فَلْيُرَاعِ الْأَعْضَاءَ الْخَمْسَةَ، فَإِنَّهُنَّ الْأَصُولُ وَهِيَ: الْعَيْنُ وَالْأُذُنُ وَاللِّسَانُ وَالْقَلْبُ وَالْبَطْنُ، فَيَحْتَرِزُ عَلَيْهَا بِالصِّيَانَةِ لَهَا مِمَّا يَخَافُ مِنْهُ ضَرَرًا فِي أَمْرِ الدِّينِ مِنْ مَعْصِيَةٍ وَحَرَامٍ وَقُضُولٍ وَإِسْرَافٍ مِّنْ حَلَالٍ، فَإِذَا حَصَلَ صِيَانَةُ هَذِهِ الْأَعْضَاءِ فَمَرْجُوٌّ أَنْ يُكْفَى سَائِرَ أَرْكَانِهِ عَلَيْكَ بِحِفْظِ الْعَيْنِ لِاعْتِبَارِ ثَلَاثَةِ أُمُورٍ: قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ، ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنْ اللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾. وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((النَّظَرُ مِنْ مَحَاسِنِ الْمَرْأَةِ سَهْمٌ مَسْمُومٌ مِّنْ سِهَامِ إِبْلِيسَ، فَمَنْ تَرَكَهَا أَذَاقَهُ اللَّهُ طَعْمَ عِبَادَةِ تَسْرُهُ وَكَوْنُ الْعَيْنِ خُلِقَ لِلنَّظَرِ إِلَى ذَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.))

ثُمَّ عَلَيْكَ يَا أَخِي بِحِفْظِ الْأُذُنِ عَنِ الْغِنَاءِ وَالْفُضُولِ لِلْمُرَيْنِ: الْأَوَّلُ مُشَارَكَةُ الْقَاتِلِ فِي الذَّنْبِ؛ وَالثَّانِي تَهْيِيجُ الْخَوَاطِرِ وَالْوَسْوَاسِ فِي الْقَلْبِ.

ثُمَّ عَلَيْكَ يَا أَخِي بِحِفْظِ اللِّسَانِ، فَإِنَّهُ أَشَدُّهَا جِمَاحًا لِاعْتِبَارِ خَمْسَةِ أُمُورٍ: الْأَوَّلُ إِعْوَاجُ الْأَعْضَاءِ بِاعْوِجَاجِهِ؛ وَالثَّانِي ضِيَاعُ وَقْتِكَ إِنْ أُرْسَلْتَهُ؛ وَالثَّلَاثُ ذَهَابُ حَسَنَاتِكَ إِنْ أُرْسَلْتَهُ إِلَى الْغَيْبَةِ إِلَى الَّذِي أَوْقَعْتَ الْغَيْبَةَ عَلَيْهِ؛ الرَّابِعُ عَدَمُ السَّلَامَةِ مِنْ أَفَاتِ الدُّنْيَا إِنْ أُرْسَلْتَهُ؛ الْخَامِسُ اسْتِحْقَاقُ عَذَابِ اللَّهِ إِنْ كَلِمْتَ قَوْلًا مَحْظُورًا، فَاحْفَظْهُ أَيْضًا مِنَ الْمُبَاحِ لِأَرْبَعَةِ أُمُورٍ: الْأَوَّلُ شُغْلُ الْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ بِمَا لَا خَيْرَ فِيهِ؛ وَالثَّانِي إِرسَالُ الْكِتَابِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ اللَّغْوِ وَالْهَذَرِ؛ وَالثَّلَاثُ قِرَاةُ بَيْنَ يَدَيْ الْمَلِكِ الْجَبَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ وَالرَّابِعُ اللَّوْمُ وَالتَّعْيِيرُ.

ثُمَّ عَلَيْكَ بِحِفْظِ الْقَلْبِ وَإِصْلَاحِهِ، فَإِنَّهُ أَعْظَمُ خَطَرًا وَأَدْقُهَا أَمْرًا وَأَشْفَقُهَا إِصْلَاحًا لِاعْتِبَارِ خَمْسَةِ أُمُورٍ: الْأَوَّلُ قَوْلُهُ تَعَالَى، ﴿يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ وَنَحْوُهَا؛ وَالثَّانِي قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ((إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَبْشَارِكُمْ وَإِنَّمَا يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ.)) وَالثَّلَاثُ أَنَّهُ مَلِكٌ وَالْأَعْضَاءُ تَبِعَ لَهُ إِذَا صَلَحَ صَلَحَتْ وَإِذَا فَسَدَ فَسَدَتْ؛ وَالرَّابِعُ أَنَّ الْقَلْبَ خِزَانَةُ كُلِّ جَوْهَرٍ كَالْعَقْلِ وَالْعِلْمِ فَحَقَّ لِمِثْلِ هَذِهِ

الْخِزَانَةَ مِنْ أَنْ تُصَانَ عَنِ الْإِنْسَانِ؛ وَالْخَامِسُ إِنْ تَأَمَّلْتَهُ تَجَدُّ لَهُ خَمْسَةٌ أَحْوَالٍ لَيْسَتْ لِغَيْرِهِ: الْأَوَّلُ لَا يَقْصِدُ الشَّيْطَانُ وَالْمَلَكُ إِلَّا إِلَيْهِ؛ وَالثَّانِي إِنْ الشُّغْلُ لَهُ أَكْثَرُ وَهُوَ مُعْتَرِكُ الْعَسْكَرَيْنِ الْهُوَى وَجُنُودَهُ وَالْعَقْلُ وَجُنُودَهُ، وَهُوَ أَبَدًا بَيْنَ تَحَارِبِهِمَا؛ وَالثَّلَاثُ أَنَّ الْخَوَاطِرَ لَهُ كَالسَّهَامِ وَلَا تَزَالُ تَقَعُ فِيهِ لَيْلًا وَنَهَارًا لَا تَقْدِرُ عَلَى مَنَعِهَا؛ وَالرَّابِعُ أَنَّ عِلَاجَهُ عَسِيرٌ لِأَنَّهُ غَائِبٌ عَنكَ؛ وَالْخَامِسُ إِنَّهُ أَسْرَعُ انْقِلَابًا مِنَ الْقَدْرِ فِي غَلِيَانِهَا.

فَإِنْ قُلْتَ: "إِنَّ أَمْرَ هَذَا الْقَلْبِ لَمْ يَهْمُ جِدًّا فَاحْبِرْنَا عَنِ الْمَعَانِي الَّتِي تُصَلِّحُهُ وَعَنِ الْآفَاتِ الَّتِي تَفْسِدُهُ عَسَى أَنْ يُوفِّقَ اللَّهُ لِلْإِجْتِهَادِ فِي الْعَمَلِ بِذَلِكَ." فَاعْلَمْ أَنَّ عُلَمَاءَ الْآخِرَةِ قَدْ ذَكَرُوا مِنْ نَحْوِ سَبْعِينَ خَصْلَةً مَحْمُودَةً وَتَحْتَهَا أَضْدَادُهَا مَذْمُومَةٌ. قَالَ الْغَزَالِيُّ: "لِعَمْرِي إِنْ مِنْ أَمَّةٍ أَمَرَ دِينَهُ وَأَنْتَبَهَ مِنْ رَقْدَةِ الْغَافِلِينَ وَنَظَرَ لِنَفْسِهِ فَلَا يَكُونُ تَحْصِيلُ جَمِيعِ ذَلِكَ عَلَيْهِ عَسِيرًا وَالْعَمَلُ بِهِ كَثِيرًا إِذَا وَقَّعَهُ اللَّهُ تَعَالَى. وَنَحْنُ نَذَكُرُ لَكَ الْآنَ الْأَرْبَعَةَ لَا بُدَّ مِنْ ذِكْرِهَا فِي عِلَاجِ الْقَلْبِ فَهِيَ مِنْ مَدَاحِصِ الْعَابِدِينَ وَأَرْبَعَةٌ فِي مُقَابَلَتِهَا فِيهَا إِنْتِظَامُ الْعِبَادَةِ وَإِصْلَاحُ الْقَلْبِ."

فَالْآفَاتُ الْأَرْبَعُ: الْأَمَلُ؛ وَالِاسْتِعْجَالُ؛ وَالْحَسَدُ؛ وَالْكِبْرُ، فَهَذِهِ أَسْلُفُ فَسَادِ الْقَلْبِ. وَأَمَّا الْمُنَاقِبُ الَّتِي هِيَ أَضْدَادُهَا فَفَقَصْرُ الْأَمَلِ؛ وَالتَّأَنِّي فِي الْأُمُورِ؛ وَالتَّوَضُّعُ؛ وَالتَّوَاضُّعُ، فَهَذِهِ أَسْلُفُ صِلَاحِ الْقَلْبِ، فَابْتَدَأَ الْمَجْهُودُ فِي التَّحَرُّزِ مِنْ تِلْكَ وَالتَّحْصِيلِ لِهَذِهِ، فَتَكْفَى الْمُؤَرُّ وَتُظْفَرُ بِالْمَقْصُودِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَمَّا حُدُّ الْأَمَلِ الْإِرَادَةُ الْحَيَاةَ لِلْوَقْتِ الْمُتَرَاخِي بِالْحُكْمِ هُوَ الْأَمَلُ، وَالْمَعْنَى الرَّاتِبُ فِي الْقَلْبِ الْبَاعِثُ عَلَى الْإِقْدَامِ عَلَى الْأَمْرِ بِأَوَّلِ خَاطِرٍ ذُوْنِ التَّوَقُّفِ فِيهِ هُوَ الْعُجْلَةُ، إِرَادَةُ زَوَالِ نَعْمِ اللَّهِ تَعَالَى عَنْ أَخِيكَ الْمُسْلِمِ هُوَ الْحَسَدُ، وَالْخَاطِرُ فِي رَفْعِ النَّفْسِ وَاسْتِعْظَامِهَا هُوَ الْكِبْرُ، وَاتِّبَاعُهُ هُوَ التَّكْبَرُ وَعَكْسُ حُدِّهَا حُدُّ أَضْدَادِهَا الْحَسَنَةُ.

فَاحْذَرِهَا يَا أَخِي غَايَةَ الْحَذَرِ لِأَنَّكَ إِنْ طَوَّلْتَ أَمْلَكَ هَاجَ لَكَ أَرْبَعَةٌ أَشْيَاءَ: الْأَوَّلُ تَرَكَ الطَّاعَةَ لِأَنَّكَ تَقُولُ "سَوْفَ أَفْعَلُ وَالْأَيَّامُ بَيْنَ يَدَيَّ"، وَالثَّانِي تَسْوِيفُ التَّوْبَةِ لِأَنَّكَ تَقُولُ "سَوْفَ أَتُوبُ وَفِي الْأَيَّامِ سَعَةٌ وَأَنَا شَابٌّ وَسَنِي قَلِيلٌ، وَالثَّلَاثُ الْحِرْصُ عَلَى الْجَمْعِ وَالِاسْتِغْثَالُ بِالدُّنْيَا عَنِ الْآخِرَةِ لِأَنَّكَ تَقُولُ "أَخَافُ الْفَقْرَ فِي الْكِبَرِ وَرَبِّمَا أَضْعَفُ عَنِ الْاِكْتِسَابِ وَلَا بُدَّ لِي مِنْ شَيْءٍ ادَّخَرْتُهُ لِهَرَمٍ، وَالرَّابِعُ الْقَسْوَةُ فِي الْقَلْبِ لِأَنَّكَ إِذَا طَوَّلْتَ الْأَمَلَ لَا تَذَكُرُ الْمَوْتَ وَالْقَبْرَ وَبِفَقْدِ الْأَمَلِ تَحْصُلُ أَضْدَادُهَا الْحَسَنَةُ.

وَأَمَّا الْاِسْتِعْجَالُ فَهُوَ الْمَوْقِعُ فِي الْمَعَاصِي، لَهُ أَرْبَعُ آفَاتٍ أَيْضًا: أَحَدُهَا أَنْ يَقْصِدَ الْعَابِدُ مَنزِلَةً فِي الْخَيْرِ وَالِاسْتِقَامَةَ وَيَجْتَهِدُ، فَرَبِّمَا يَسْعَجَلُ فِي نَيْلِهَا وَلَيْسَ ذَلِكَ بِوَقْتِهَا فِيمَا أَنْ يَفْتَرَّ وَيَنْسُ وَيَنْتَرِكَ الْاِجْتِهَادَ فَيُحْرَمَ تِلْكَ الْمَنزِلَةَ وَإِمَّا أَنْ يَغْلُوَ فِي الْجُهْدِ وَاتِّقَابِ النَّفْسِ، فَيَنْقَطِعُ عَنِ تِلْكَ الْمَنزِلَةِ، فَهُوَ أَبَدًا بَيْنَ اِفْرَاطِ الزِّيَادَةِ وَتَقْرِيظِ النَّقْصَانِ، وَكِلَاهُمَا نَتِيجَةُ الْاِسْتِعْجَالِ؛ وَالثَّانِيَةُ أَنْ يَكُونَ لِلْعَابِدِ حَاجَةٌ فَيَدْعُو اللَّهَ تَعَالَى فِيهَا وَيُكْثِرُ الدَّعَاءَ، فَرَبِّمَا يَسْتَعْجَلُ الْاِجَابَةَ قَبْلَ وَقْتِهَا، فَلَا يَجِدُهَا فَيَفْتَرُّ وَيَسْأَلُ فَيَنْتَرِكَ الدَّعَاءَ، فَيُحْرَمُ حَاجَتَهُ؛ وَالثَّلَاثَةُ أَنْ يَظْلِمَهُ إِنْسَانٌ فَيَغِيظُهُ فَيَعْجَلُ فِي الدَّعَاءِ عَلَيْهِ فَيُهْلِكُ مُسْلِمًا بِسَبَبِهِ، وَرَبِّمَا يَتَجَاوَزُ عَنِ الْحَدِّ فَيَقَعَ

فِي مَعْصِيَةٍ؛ وَالرَّابِعَةُ أَصْلُ الْعِبَادَةِ الْوَرَعُ إِذَا كَانَ الرَّجُلُ مُسْتَعْجِلًا كَانَ وَقَعًا فِي أَكْلِ الطَّعَامِ الْحَرَامِ أَوْ الشُّبْهَةِ، فَيَقُوتُهُ الْوَرَعُ.

وَأَمَّا الْحَسَدُ فَإِنَّهُ الْمُفْسِدُ لِلطَّاعَاتِ وَالْبَاعِثُ عَلَى الْخَطَايَا وَأَنَّهُ الدَّاءُ الْفُضَالُ الَّذِي يُبْتَلَى بِهِ الْكَثِيرُ الْقُرَاءُ وَالْعُلَمَاءُ فَضْلًا عَنِ الْعَامَةِ وَالْجَهَالِ. ثُمَّ إِنَّهُ يَهَيِّجُ خَمْسَةَ أَشْيَاءَ: الْأَوَّلُ إِفْسَادُ الطَّاعَاتِ؛ وَالثَّانِي فِعْلُ الْمَعَاصِي؛ وَالثَّلَاثُ التَّعَبُ بِلا فَائِدَةٍ؛ وَالرَّابِعُ عَمَى الْقَلْبِ؛ وَالْخَامِسُ الْحَرَمَانُ.

وَأَمَّا الْكِبْرُ فَإِنَّهُ الْخِصْلَةُ الْمُهْلِكَةُ رَأْسًا، وَلَيْسَ هِيَ بِمَنْزِلَةِ سَائِرِ الْخِصَالِ الَّتِي تَضُرُّ بِفُرُوعِهَا إِنَّمَا تَضُرُّ هِيَ بِالْأَصْلِ، ثُمَّ إِذَا قَوِيَتْ وَعَلَبَتْ فَلَا تَدَارِكُ وَالْعِبَادَةُ بِاللَّهِ تَعَالَى، يَهَيِّجُ مِنْهَا أَرْبَعُ أَقَاتٍ: أَحَدُهَا حَرَمَانُ الْحَقِّ وَعَمَى الْقَلْبِ عَنِ مَعْرِفَةِ آيَاتِ اللَّهِ؛ وَالثَّانِيَةُ بَغْضُ اللَّهِ؛ وَالثَّلَاثَةُ الْخِزْيُ فِي الدُّنْيَا؛ وَالرَّابِعَةُ النَّارُ وَالْعَذَابُ فِي الْعُقُوبَى، فَهَذِهِ بَعْضُ مَا حَضَرْنَا فِي هَذِهِ الْخِصَالِ الْأَرْبَعِ مِنَ الْأَقَاتِ وَاحِدَةً مِنْهَا كَعَتِ الْعَاقِلُ فَضْلًا عَنِ الْكَلِّ إِذَا أَهَمَّهُ أَمْرٌ دِينِيهِ. وَاللَّهُ الْمُوفِّقُ لِرَحْمَتِهِ

### فَصْلٌ فِي حَفْظِ الْبَطْنِ

ثُمَّ عَلَيْكَ يَا أَخِي بِحَفْظِ الْبَطْنِ عَنِ الْحَرَامِ وَالشُّبْهَةِ أَوْلًا<sup>48</sup>، ثُمَّ عَنِ الْفُضُولِ ثَانِيًا. إِنْ كَانَ لَكَ هَمَّةٌ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ إِنَّمَا يَلْزَمُكَ بَحْثُ الْحَرَامِ وَالشُّبْهَةِ أَوْلًا لِثَلَاثَةِ أُمُورٍ: أَوْلَاهَا حَذْرًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ؛ وَالثَّانِي أَكْلُهُمَا مَطْرُودٌ لَا يُوقِقُ لِلْعِبَادَةِ؛ وَالثَّلَاثُ أَكْلُهُمَا مَرْدُودٌ غَيْرُ مَقْبُولٍ.

وَأَمَّا فَضُولُ الْحَلَالِ فَلَهُ عَشْرُ أَقَاتٍ وَهِيَ: [1] قَسْوَةُ الْقَلْبِ؛ [2] وَفِتْنَةُ الْأَعْضَاءِ؛ [3] وَقَلَّةُ فَهْمِ الْعِلْمِ؛ [4] وَقَلَّةُ الْعِبَادَةِ؛ [5] وَقَفْدُ حِلَاوَةِ الْعِبَادَةِ؛ [6] وَخَطَرُ الْوُقُوعِ فِي الشُّبْهَةِ وَالْحَرَامِ؛ [7] وَسُغْلُ الْقَلْبِ وَالْبَدَنِ؛ [8] وَشِدَّةُ سَكْرَاتِ الْمَوْتِ؛ [9] وَفَقْصَانُ الثَّوَابِ فِي الْعُقُوبَى؛ [10] وَالْحَبْسُ فِي الْحِسَابِ. فَهَذِهِ عَشْرَةٌ فِي أَحَدِهَا كِفَايَةٌ بِالْغَةِ.



<sup>48</sup> قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلِيَ لغيرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكَ فِسْقٌ، الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ، قَلَّا تَخْشَوْهُمْ وَأَخْشَوْنَا، الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا، فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ. يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ لَهُمْ، قُلْ أَحَلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتِ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلَّبِينَ تَعْلَمُونَ نَهْيَ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ، فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ. الْيَوْمَ أَحَلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتِ وَطَعَامَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَّ لَكُمْ وَطَعَامَكُمْ حَلَّ لَهُمْ. ﴿[الْمَائِدَةُ: 3-5].

# SANKORE'

فِي الإِحْتِيَاطِ فِي الْقُوْتِ

Institute of Islamic-African Studies International



## بَابُ فِي الإِحْتِيَاظِ فِي الْقُوتِ

يَا أَخِي عَلَيْكَ بِالِإِحْتِيَاظِ فِي الْقُوتِ كَيْلًا تَقَعُ فِي الْحَرَامِ أَوْ الشُّبْهَةِ. ثُمَّ اقْتَصِرْ مِنَ الْحَلَالِ عَلَى مَا يَكُونُ عُدَّةً عَلَى عِبَادَةِ اللَّهِ.

فَإِنْ قُلْتَ: " مَا الْحَرَامُ وَالشُّبْهَةُ؟ " فَاعْلَمْ أَنَّ بَعْضَ الْعُلَمَاءِ قَالَ، " مَا تَيَقَّنْتَ كَوْنَهُ مَلَكًا لِلْغَيْرِ مِنْهَا عَنْهُ فِي الشَّرْعِ فَهُوَ حَرَامٌ مَحْضٌ. وَأَمَّا إِذَا لَمْ يَكُنْ لَكَ يَقِينٌ بِذَلِكَ وَلَكِنْ يَغْلِبُ عَلَى ظَنِّكَ أَنَّهُ كَذَلِكَ فَهُوَ شُبْهَةٌ. " فَقَالَ آخَرُونَ، " الْحَرَامُ الْمَحْضُ مَا يَكُونُ بِهِ عِلْمٌ أَوْ غَالِبُ ظَنٍّ. أَمَّا إِذَا تَسَاوَتِ الْأَمْرَتَانِ حَتَّى تَبْقَى شَاكًا لَا يَكُونُ لِأَحَدِهِمَا تَرْجِيحٌ عِنْدَكَ، فَذَلِكَ شُبْهَةٌ. " فَهَذَا أَوْلَى الْقَوْلَيْنِ عِنْدَ الْغَزَالِيِّ. ثُمَّ الْإِمْتِنَاعُ عَنِ الْحَرَامِ وَاجِبٌ وَعَنِ الشُّبْهَةِ تَقْوَى وَوَرَعٌ.

فَإِنْ قُلْتَ: " مَا تَقُولُ فِي قَبُولِ جَوَائِزِ السَّلَاطِينِ فِي هَذَا الزَّمَانِ؟ " فَاعْلَمْ أَنَّ الْعُلَمَاءَ اخْتَلَفُوا فِيهِ. فَقَالَ قَوْمٌ، " كُلُّ مَا لَا يَتَحَقَّقُ أَنَّهُ حَرَامٌ فَلَهُ أَخْذُهُ. " وَقَالَ آخَرُونَ، " لَا يَحِلُّ أَنْ يُؤْخَذَ مَا لَا يَتَحَقَّقُ أَنَّهُ حَالَلٌ لِأَنَّ الْأَغْلَبَ عَلَيْهِمُ الْحَرَامُ. " وَقَالَ قَوْمٌ، " يَحِلُّ لِلْغَنِيِّ وَالْفَقِيرِ إِذَا لَمْ يَتَحَقَّقْ أَنَّهَا حَرَامٌ فَلَهُ أَخْذُهُ، وَإِنَّمَا التَّبِعَةُ عَلَى الْمُعْطَى. " وَقَالَ آخَرُونَ، " لَا يَحِلُّ مِنْ أَمْوَالِهِمْ شَيْءٌ لِلْغَنِيِّ وَالْفَقِيرِ لِأَنَّهُمْ ظَالِمُونَ، وَالْغَالِبُ عَلَى مَالِهِمُ الْحَرَامُ وَالْحُكْمُ لِلْغَالِبِ. فَيَلْزَمُ الْإِجْتِنَابُ. " وَقَالَ آخَرُونَ، " مَا لَا يَتَيَقَّنُ أَنَّهُ حَرَامٌ فَهُوَ حَالَلٌ لِلْفَقِيرِ دُونَ الْغَنِيِّ إِلَّا أَنْ يَعْلَمَ الْفَقِيرُ أَنَّ ذَلِكَ عَيْنُ الْغَضَبِ. " قَالَ الْغَزَالِيُّ، " هَذِهِ الْمَسَائِلُ لَا يُمَكِّنُ الْفَتْوَى بِهَا. "

فَإِنْ قُلْتَ: " مَا حُكْمُ قَبُولِ صَلَاتِ أَهْلِ السُّوقِ وَغَيْرِهِمْ؟ " فَالْجَوَابُ: مَنْ كَانَ ظَاهِرُهُ الصَّلَاحُ، فَلَا حَرَجَ فِي قَبُولِ صَدَقَتِهِ، وَإِلَّا فَلَا. فَاعْلَمْ أَنَّ هَاهُنَا شَيْئَيْنِ: [1] حُكْمُ الشَّرْعِ وَهُوَ أَنْ تَأْخُذَ مَا أَتَاكَ مِنْ ظَاهِرِهِ الصَّلَاحُ، وَلَا تَسْتَلِّ إِلَّا أَنْ تَتَيَقَّنَ أَنَّهُ غَضَبٌ أَوْ حَرَامٌ بَعِيْنِهِ؛ [2] وَحُكْمُ الْوَرَعِ وَهُوَ أَنْ لَا تَأْخُذَ مِنْ أَحَدٍ شَيْئًا حَتَّى تَبْحَثَ غَايَةَ الْبَحْثِ، فَتَسْتَيَقِّنَ أَنَّهُ لَا شُبْهَةَ فِيهِ بِحَالٍ وَإِلَّا فَتَرُدَّهُ.

فَإِنْ قُلْتَ: " خَالَفَ الْوَرَعُ الشَّرْعَ وَحُكْمَهُ. " فَاعْلَمْ أَنَّ الشَّرْعَ مَوْضُوعٌ عَلَى الْيُسْرِ، وَالْوَرَعُ مَوْضُوعٌ عَلَى التَّشْدِيدِ وَالِإِحْتِيَاظِ. ثُمَّ الْوَرَعُ مِنَ الشَّرْعِ أَيْضًا وَكِلَاهُمَا فِي الْأَصْلِ وَاحِدٌ لَكِنَّ الشَّرْعَ حُكْمَانِ: [1] حُكْمُ الْجَوَائِزِ؛ [2] وَحُكْمُ الْأَفْضَلِ وَالْأَحْوَطِ. وَالْأَوَّلُ حُكْمُ الشَّرْعِ وَالثَّانِي حُكْمُ الْوَرَعِ.

فَإِنْ قُلْتَ: " إِذَا جَازَ الْبَحْثُ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ تَعَدَّرَ الْأَمْرُ عَلَى صَاحِبِ الْوَرَعِ إِذْ لَا بُدَّ مِنْ بَلَاغٍ يَبْلُغُهُ إِلَى الطَّاعَةِ. " فَاعْلَمْ أَنَّ طَرِيقَ الْوَرَعِ شَدِيدٌ وَأَنَّ مَنْ قَصَدَ سُلُوكَهُ فَشَرَطُهُ أَنْ يَصْبِرَ عَلَى احْتِمَالِ الشَّدَّةِ وَإِلَّا فَلَا يَتِمُّ لَهُ ذَلِكَ، وَلِذَلِكَ صَارَ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْوَرَعِ إِلَى جِبَلِ لُبْنَانَ وَغَيْرِهِ، فَاقْتَصَرُوا عَلَى أَكْلِ الْحَشِيشِ وَتَمَرَاتٍ لَا شُبْهَةَ فِيهَا بِحَالٍ. فَاسْأَلْكَ

طَرِيقَتُهُمْ إِنْ أَرَدْتَ مَنزِلَةَ الْوَرَعِ الْأَعْلَى. وَأَمَّا إِنْ أَقَمْتَ بَيْنَ النَّاسِ وَتَاكَلُ مَا يَتَدَاوَلُونَهُ مِمَّا فِي أَيْدِيهِمْ، فَلْيَكُنْ ذَلِكَ بِمَنزِلَةِ الْمَيْتَةِ لَا تَتَنَاوَلُهُ إِلَّا عِنْدَ الضَّرُورَةِ وَذَلِكَ بِمِقْدَارِ مَا يُبَلِّغُكَ إِلَى الطَّاعَةِ. فَإِنْ قُلْتَ: "مَا الْحَلَالُ وَمَا حُدُّ الْفُضُولِ الَّذِي يَلْزِمُ مِنْهُ الْحِسَابُ وَالْحَبْسُ وَمَا الْمِقْدَارُ الَّذِي إِذَا أَخَذَهُ الْعَبْدُ يَكُونُ ذَلِكَ أَدْبًا؟" فَاعْلَمْ أَنَّ أَحْوَالَ الْمُبَاحِ ثَلَاثَةٌ أَقْسَامٍ: أَحَدُهَا أَنْ يَأْخُذَ الْعَبْدُ لِلتَّفَاخُرِ وَالنَّكَاحِ وَالرِّيَاءِ، وَهَذَا مُوجِبٌ عَذَابِ النَّارِ الْعَظِيمِ؛ وَالْقِسْمُ الثَّانِي أَنْ يَأْخُذَ الْحَلَالَ لَشَهْوَةِ نَفْسِهِ وَهَذَا مُوجِبٌ حِسَابًا وَحَبْسًا؛ وَالْقِسْمُ الثَّلَاثُ أَنْ يَأْخُذَ مِنَ الْحَلَالِ فِي حَالِ الْعُذْرِ قَدْرًا مَا يَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَهَذَا خَيْرٌ وَحَسَنَةٌ وَأَدَبٌ، وَلَا حِسَابَ عَلَيْهِ وَلَا عِقَابَ. بَلْ لَهُ أَجْرٌ وَمَدْحَةٌ.

ثُمَّ الِاسْتِقَامَةَ عَلَى حِفْظِ هَذَا الْأَدَبِ يَحْتَاجُ إِلَى بَصِيرَةٍ وَقَصْدٍ بِأَنَّهُ لَا يَأْخُذُ مِنَ الدُّنْيَا بِحَالٍ إِلَّا لِلْعُدَّةِ عَلَى عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى. ثُمَّ إِنْ سَهِيَ عَنِ ذِكْرِ الْحُجَّةِ فِي حَالِ أَجْزَأِهِ ذَلِكَ الْقَصْدُ الْمُجْمَلُ. عَلَيْكَ يَا أَخِي بِبَدْلِ الْمَجْهُودِ فِي هَذِهِ الْأَقْسَامِ الْأَرْبَعَةِ بِالْحَذَرِ، مِنْهَا: [1] دُنْيَا؛ [2] وَخَلْقٌ؛ [3] وَشَيْطَانٌ؛ [4] وَنَفْسٌ. وَإِنَّمَا هَلَكَ كُلٌّ مِنْ هَٰؤُلَاءِ بِسَبَبِ هَذِهِ الْأَقْسَامِ. ثُمَّ اَعْلَمْ أَنَّ هَاهُنَا أَصْلًا، وَهُوَ أَنَّ الْعِبَادَةَ شَطْرَانِ: [1] فِعْلُ الطَّاعَةِ؛ [2] وَاجْتِنَابُ الْمَعَاصِي.

فَهِمَّةُ الْمُتَبَدِّئِينَ أَنْ يَصُومُوا نَهَارَهُمْ وَيَقُومُوا لَيْلَهُمْ. وَهِمَّةُ أُولِي الْبَصَائِرِ أَنْ يَحْفَظُوا قُلُوبَهُمْ عَنِ الْمَيْلِ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ وَبُطُونَهُمْ عَنِ الْفُضُولِ وَالسُّنْتِمْ عَنِ اللَّغْوِ وَأَعْيُنَهُمْ عَنِ النَّظَرِ إِلَى مَا لَا يَعْنِيهِمْ. فَإِذَا عَلِمْتَ أَنَّ جَانِبَ الْإِجْتِنَابِ أَوْلَى مِنْ حَصَلِ لَهُ شَطْرَانِ، فَسَالِمٌ غَانِمٌ. وَإِنْ لَمْ تَبْلُغْ إِلَّا إِلَى أَحَدِهِمَا فَلْيَكُنْ ذَلِكَ الْإِجْتِنَابُ، فَتَسَلِّمْ إِنْ لَمْ تَغْنَمْ، وَإِلَّا خَسِرْتَ الشَّطْرَيْنِ جَمِيعًا.



SANKORE'

فِي الْعَوَارِضِ الشَّاعِلَةِ  
عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَكِفَايَتِهَا:  
التَّوَكُّلِ وَالتَّفْوِيزِ وَالرِّضَى وَالصَّبْرِ

Institute of Islamic-African Studies International

## بَابُ فِي الْعَوَارِضِ الشَّاعِلَةِ عَنِ عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى

ثُمَّ عَلَيْكَ يَا أُخِي بِكِفَايَةِ الْعَوَارِضِ الشَّاعِلَةِ عَنِ عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى. وَذَلِكَ أَرْبَعَةُ الْعَوَارِضِ: [1] الرِّزْقُ؛ [2] وَالْأَخْطَارُ؛ [3] وَالْقَضَاءُ؛ [4] وَالْمَصَائِبُ مَعَ الشَّدَائِدِ.

### الْعَارِضُ الْأَوَّلَى

وَكَفَايَةُ الرِّزْقِ التَّوَكُّلُ، فَعَلَيْكَ بِالتَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ فِي مَوْضِعِ الرِّزْقِ وَالْحَاجَةِ بِكُلِّ حَالٍ لِأَمْرَيْنِ: أَحَدُهُمَا لِلتَّفَرُّغِ لِلْعِبَادَةِ، وَالثَّانِي لِمَا فِي تَرْكِهِ مِنَ الْخَطَرِ الْعَظِيمِ.<sup>49</sup> لَأَنَّ اللَّهَ دَلَّنَا عَلَى أَنَّ الرِّزْقَ كَالْخَلْقِ، أَي لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ﴾. حَتَّى وَعَدَ، ثُمَّ لَمْ يَكْتَفِ بِالْوَعْدِ حَتَّى ضَمِنَ، ثُمَّ لَمْ يَكْتَفِ بِالضَّمَانِ حَتَّى قَسَمَ، ثُمَّ لَمْ يَكْتَفِ بِذَلِكَ حَتَّى أَمَرَ وَأَبْلَغَ وَأَنْذَرَ.

ثُمَّ إِنَّ التَّوَكُّلَ يَقْصِدُ الْأُمُورَ عَلَى قُوَّةِ بَصِيرَةٍ وَكَمَالِ يَقِينٍ بِوَعْدِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ،<sup>50</sup> فَلَا يَلْتَفِتُ إِلَى إِنْسَانٍ يُخَوِّفُهُ أَوْ شَيْطَانٍ يُوسْوِسُهُ<sup>51</sup>. أَلَا تَنْتَظِرُ يَا أُخِي إِلَى أَصْحَابِ الْهَمَمِ مِنْ أِبْنَاءِ الدُّنْيَا. أَمَّا الْمُلُوكُ فَبَاشَرُوا الْحُرُوبَ إِمَّا مَلِكًا وَإِمَّا هَلِكًا، وَأَمَّا التَّجَارُ فَيَطْرَحُونَ أَنْفُسَهُمْ عَلَى أَحَدِ الْأَمْرَيْنِ إِمَّا فَوَاتِ الْأَرْوَاحِ وَإِمَّا حُصُولِ الْأَرْبَاحِ.

وَأَمَّا أِبْنَاءُ الْآخِرَةِ فَرَأْسُ أَمْوَالِهِمُ التَّوَكُّلُ لِمَا أَحْكَمُوهُ تَفَرَّغُوا لِعِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَتَمَكَّنُوا مِنَ التَّفَرُّدِ عَنِ الْخَلْقِ، وَأَفْتَحُوا الْفِيَّافِي وَهُمْ مُلُوكُ الْأَرْضِ يَسِيرُونَ حَيْثُ شَاءُوا، وَكُلُّ الْأَمَاكِنِ عِنْدَهُمْ وَاحِدٌ، وَكُلُّ الْأَزْمَانِ عِنْدَهُمْ وَاحِدٌ.<sup>52</sup>

وَأَمَّا التَّوَكُّلُ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ قِوَامَ بِنْيَتِكَ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا بِأَحَدٍ دُونَ اللَّهِ وَلَا بِحُطَامِ مِنَ الدُّنْيَا وَلَا بِسَبَبٍ مِنَ الْأَسْبَابِ.<sup>53</sup> وَأَمَّا الْبَاعِثُ عَلَيْهِ ضَمَانُ اللَّهِ تَعَالَى وَكَمَالُ عِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ وَتَنَزُّهُهُ عَنِ الْخَلْفِ وَالسَّهْوِ وَالْعَجْزِ.<sup>54</sup>

<sup>49</sup> قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾. وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾. رَوَى التِّرْمِذِيُّ وَالنِّسَاءُ وَإِبْنُ مَاجَةَ وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ وَإِبْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ وَالْحَاكُّ عَنْ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطُّيُورَ تَغْدُوا خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا.))

<sup>50</sup> قَالَ الشَّيْخُ عَبْدِ الْقَادِرِ الْجِيلَانِي: التَّوَكُّلُ ثَلَاثُ دَرَجَاتٍ: وَهِيَ التَّوَكُّلُ، ثُمَّ التَّسْلِيمُ، ثُمَّ التَّفْوِضُ.

<sup>51</sup> قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا، وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ. فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ فَغَدَّوْا، فَذُرِّيَّتَهُمْ عَلَيْهِمْ سُوءٌ وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ، وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ. إِنَّمَا ذَلِكَ الشَّيْطَانُ يَخُوفُ أَوْلِيَآءَهُ، فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

<sup>52</sup> سَأَلَ الشَّيْخُ عَبْدِ الْقَادِرِ الْجِيلَانِي عَنِ التَّوَكُّلِ فَقَالَ: "التَّوَكُّلُ حَقِيقَةٌ كَحَقِيقَةِ الْإِحْلَاصِ، وَحَقِيقَةُ الْإِحْلَاصِ ارْتِفَاعُ الْهِمَّةِ عَنِ طَلَبِ الْأَعْوَاضِ عَلَى الْأَعْمَالِ. فَذَلِكَ التَّوَكُّلُ هُوَ الْخُرُوجُ عَنِ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ مَعَ السُّكُونِ إِلَى رَبِّ الْأَرْبَابِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى."

وَأَمَّا مَوْضِعُهُ فثَلَاثَةٌ مَوَاضِعَ: [1] مَوْضِعُ الْقِسْمَةِ؛ [2] مَوْضِعُ النُّصْرَةِ؛ [3] وَمَوْضِعُ الرِّزْقِ وَالْحَاجَةِ. وَضَمَانُ اللَّهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ لَكِنْ بِمَا يُقِيمُ بِنَيْتِكَ لَتَعْبُدَهُ.<sup>55</sup>

وَأَعْلَمُ أَنَّ الرِّزْقَ أَرْبَعَةٌ أَقْسَامٍ: [1] مَضْمُونٌ وَهُوَ الْغِذَاءُ وَمَا بِهِ قَوْلُ الْبَنِيَّةِ دُونَ سَائِرِ الْأَسْبَابِ؛ [2] وَمَقْسُومٌ؛ [3] وَمَمْلُوكٌ؛ [4] وَمَوْعُودٌ. وَأَمَّا الْمَقْسُومُ مَا كُتِبَ فِي اللَّوْحِ بِأَنَّ هَذَا مَا يَأْكُلُهُ فَلَأَنْ، وَهَذَا مَا يَشْرَبُهُ، وَهَذَا مَا يَلْبَسُهُ بَوَقْتٍ مُوقَّتٍ لَا يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ. وَأَمَّا الْمَمْلُوكُ فَمَا يَمْلِكُهُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ أَمْوَالِ الدُّنْيَا عَلَى حَسَبِ مَا قَدَّرَ اللَّهُ تَعَالَى. وَأَمَّا الْمَوْعُودُ فَهُوَ مَا وَعَدَ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمُنْتَقِينَ بِشَرَطِ التَّقْوَى حَلَالًا مِنْ غَيْرِ كَدٍّ.<sup>56</sup>

فَإِنْ قُلْتَ: "هَلْ يَلْزِمُنَا طَلَبُ الرِّزْقِ بِحَالٍ؟" فَاعْلَمْ أَنَّ الرِّزْقَ الْمَضْمُونَ الَّذِي هُوَ الْغِذَاءُ وَالْقَوَامُ فَلَا يُمَكِّنُنَا طَلَبُهُ إِذْ هُوَ فِعْلُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ بِالْعَبْدِ كَالْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ. فَأَمَّا الْمَقْسُومُ فَلَا يَلْزِمُ طَلَبُهُ إِذْ لَا حَاجَةَ لِلْعَبْدِ إِلَى ذَلِكَ، إِنَّمَا حَاجَتُهُ إِلَى الْمَضْمُونِ وَهُوَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فِي ضَمَانِ اللَّهِ تَعَالَى. فَإِنْ قُلْتَ: "لِهَذَا الرِّزْقِ الْمَضْمُونِ أَسْبَابٌ، هَلْ يَلْزِمُنَا طَلَبُ السَّبَبِ؟" ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ضَمِنَ لَنَا مُطْلَقًا مِنْ غَيْرِ شَرَطِ الطَّلَبِ وَالْكَسْبِ، فَقَدْ تَبَيَّنَ لَكَ أَنَّ طَلَبَ الرِّزْقِ وَأَسْبَابَهُ لَيْسَ بِأَمْرٍ لِأَرْمِ.<sup>57</sup>

<sup>53</sup> قال الله تعالى: ﴿إِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ. فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا، وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا، كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ، وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا، قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكَ هَذَا؟ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ.﴾

<sup>54</sup> قال الله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ، وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ، بِيَدِكَ الْخَيْرُ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ، وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ، وَتَرِزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ.﴾

<sup>55</sup> قال الله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ.﴾ قال شفيق المؤلف عبد الله بن فودي محمد في تفسيره ضياء التأويل في معاني التنزيل: "ونطلب منك المعونة على العبادة وغيرها...وقدمت العبادة على الاستعانة ليعلم أن تقديم الوسيلة على طلب الحاجة أدعى إلى الإجابة،... ليدل على أن العبادة لا تكون إلا بمعونة منه".

<sup>56</sup> قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ، وَمَنْ يَتَّوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ، إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ، قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا.﴾، قال شفيق المؤلف عبد الله بن فودي محمد في تفسيره ضياء التأويل في معاني التنزيل: "دلالة على أن التقوى ملاك الأمر وعنه صلى الله عليه وسلم: "إِنِّي لَأَعْلَمُ آيَةَ لَوْ أَخَذَ النَّاسُ بِهَا لَكَفَّتْهُمْ: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ، وَمَنْ يَتَّوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ، إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ، قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا.﴾... وَرَوَى أَنَّ سَالِمَ بْنَ عَوْفِ بْنِ مَالِكِ الْأَشْجَعِيِّ أُسِرَهُ الْعَدُوُّ، فَشَكَأَ أَبُوهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُ: ((أَتَقِيَ اللَّهَ وَأَكْتَرُ مِنْ قَوْلٍ - لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.)) ففعل، فبينما هو في بيته إذ قرع إبنه الباب معه مائة من الإبل ساقها من العدو. فنزلت.

<sup>57</sup> قال عليه الصلاة والسلام لابن مسعود: " لَا يَكْثُرُ هَمَّكَ، مَا قَدَّرَ يَكُونُ، وَمَا تَرَزَّقُ بِأَيْتِكَ."

فَإِنْ قُلْتَ: "هَلْ أَدْخُلُ الْبَادِيَةَ بِلَا زَادٍ؟" فَاعْلَمْ إِنْ كَانَ لَكَ قُوَّةُ الْقَلْبِ بِاللَّهِ وَتِقَّةٌ بِالْغَةِ بِوَعْدِ اللَّهِ تَعَالَى فَادْخُلْ وَإِلَّا فَكُنْ كَالْعَوَامِّ لِأَنَّ مَنْ جَرَى مَعَ اللَّهِ عَلَى عَادَةِ النَّاسِ جَرَى اللَّهُ تَعَالَى مَعَهُ عَلَى مَا هُوَ عِنْدَهُ.

فَإِنْ قُلْتَ: "فَالْمَتَوَكَّلُ هَلْ يَحْمِلُ الزَّادَ مَعَهُ فِي الْأَسْفَارِ؟" فَاعْلَمْ أَنَّهُ رَبِّمَا يَحْمِلُ الزَّادَ وَلَا يُعَلِّقُ الْقَلْبَ بِهِ، فَإِنَّهُ لَا مَحَالَةَ رِزْقُهُ وَفِيهِ قَوَامُهُ إِنَّمَا يُعَلِّقُ الْقَلْبَ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَرَبِّمَا يَحْمِلُ الزَّادَ بِنِيَّةٍ أُخْرَى بَأَنْ يُعِينُ مُسْلِمًا وَنَحْوَ ذَلِكَ. وَلَيْسَ الشَّانُ فِي أَخْذِ الزَّادِ وَتَرْكِهِ إِنَّمَا الشَّانُ فِي الْقَلْبِ.

فَإِنْ قُلْتَ: "فَأَيُّهُمَا أَفْضَلُ أَخْذُ الزَّادِ أَمْ تَرْكُهُ؟" فَاعْلَمْ إِنْ كُنْتَ مُنْفَرِدًا قَوِيَّ الْقَلْبِ بِاللَّهِ فَالْتَرَكُ أَوْلَى، وَإِنْ كَانَ لِإِعَانَةِ الْمُسْلِمِينَ فَالْأَخْذُ أَوْلَى. وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.

### العَارِضُ الثَّانِي: الْأَخْطَارُ

فَإِنَّمَا كِفَايَتُهَا بِالتَّفْوِيزِ. 58 فَعَلَيْكَ بِتَفْوِيزِ الْأَمْرِ كُلِّهِ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ 59 لِأَمْرَيْنِ: أَحَدُهُمَا طُمَآنِينَةُ الْقَلْبِ؛ وَالثَّانِي حُصُولُ الصَّلَاحِ وَالْخَيْرِ فِي الْإِسْتِقْبَالِ.

فَإِنْ قُلْتَ: "بَيْنَ لَنَا مَعْنَى التَّفْوِيزِ وَمَوْضِعِهِ." فَاعْلَمْ أَنَّ التَّفْوِيزَ إِرَادَةٌ أَنْ يَحْفَظَ اللَّهُ عَلَيْكَ مَصَالِحَكَ فِيمَا لَا تَأْمَنُ فِيهِ الْخَطَرُ. وَأَمَّا مَوْضِعُهُ فِي النِّوَافِلِ وَالْمُبَاحَاتِ، فَلَيْسَ لَكَ أَنْ تُرِيدَهَا قَطْعًا. بَلْ بِالْإِسْتِنَاءِ وَشَرْطِ الْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ. فَإِنْ قَيَّدْتَ إِرَادَتَكَ بِالْإِسْتِنَاءِ، فَهُوَ تَفْوِيزٌ.

وَأَمَّا الْبَاعِثُ عَلَيْهِ ذِكْرُ خَطَرِ الْأُمُورِ وَإِمْكَانُ الْهَلَاكِ وَالْفَسَادِ فِيهَا. وَالْبَاعِثُ عَلَى الْبَاعِثِ ذِكْرُ عَجْزِكَ عَنِ الْإِعْتِصَامِ عَنِ ضُرُوبِ الْخَطَرِ.

فَإِنْ قُلْتَ: "مَا الْخَطَرُ الَّذِي يُوجِبُ التَّفْوِيزَ فَاعْلَمْ أَنَّ الْخَطَرَ خَطَرَانِ: [1] خَطَرٌ تَشَكُّ بِأَنَّهُ يَكُونُ أَوْ لَا يَكُونُ، أَوْ أَنَّكَ تَصِلُ إِلَيْهِ أَوْ لَا فَهَذَا يَحْتَاجُ إِلَى الْإِسْتِنَاءِ فِي بَابِ النِّيَّةِ وَالْأَمَلِ؛ [2] وَخَطَرُ الْفَسَادِ بَأَنَّ لَا تَسْتَيْقِنُ فِيهِ الصَّلَاحَ لِنَفْسِكَ. وَهَذَا الَّذِي تَحْتَاجُ فِيهِ التَّفْوِيزَ.

58 قال الشيخ عثمان بن فودي في كتابه عمدة العلماء: ومنها التَّفْوِيزُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مِنْ سَعَادَةِ ابْنِ أَدَمَ اسْتِخَارَتُهُ اللَّهَ وَرِضَاهُ بِمَا قَضَى اللَّهُ. وَمِنْ شَقَاوَتِهِ تَرْكُهُ اسْتِخَارَةَ اللَّهَ وَسُخْطِهِ بِمَا قَضَى اللَّهُ." وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وَضُوعَكَ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَانِ وَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ نَفْسِي إِلَيْكَ وَفَوْضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ وَالْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ رَهْبَةً مِنْكَ وَرَعْبَةً إِلَيْكَ لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنَاجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ أَمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ. وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَقُولُ، فَإِنْ مِتَّ عَلَى الْفِطْرَةِ. وَزَادَ فِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ "فَإِنَّ أَصْبَحْتَ أَصْبَحْتَ خَيْرًا".))

59 قال الله تعالى: ﴿وَأَفْوِضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ فَوْقَهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا﴾. [40 غافر: 44]. قال شقيق المؤلف عبد الله بن فودي محمد في تفسيره ضياء التأويل في معاني التنزيل: ﴿وَأَفْوِضْ﴾ أَسْلَمَ ﴿أَمْرِي إِلَى اللَّهِ﴾ لِيَعَصِمَنِي مِنْ كُلِّ سُوءٍ ﴿إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ فَيَحْرِسُهُمْ أَوْ يُجَازِي كُلًّا عَلَى حَسَبِ حَالِهِ فَوْقَهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا.

فَإِنْ قُلْتَ: "هَلْ يَأْمَنُ الْمُفَوِّضُ الْهَلَكَ وَالْفَسَادَ وَالِدَارُ دَارٌ مِحْنَةٌ؟" فَاعْلَمْ أَنَّ الْأَغْلَبَ لَا يَفْعَلُ بِالْمُفَوِّضِ إِلَّا الصَّلَاحَ.

### الْعَارِضُ الثَّلَاثُ: الْقَضَاءُ وَأَنْوَاعُهُ

وَإِنَّمَا كِفَايَتُهُ بِالرِّضَى. <sup>60</sup> فَعَلَيْكَ بِالرِّضَى بِقَضَاءِ اللَّهِ تَعَالَى لِلْمُرَيْنِ: أَحَدُهُمَا التَّفَرُّغُ لِعِبَادَةِ اللَّهِ لِأَنَّكَ إِذَا لَمْ تَرْضَ بِالْقَضَاءِ تَكُونُ مَهْمُومًا مَشْغُولَ الْقَلْبِ أَبَدًا بِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ كَذَا وَلَمْ يَكُنْ كَذَا. وَالثَّانِي خَطَرُ مَا فِي السُّخْطِ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. <sup>61</sup>

فَإِنْ قُلْتَ: "مَا مَعْنَى الرِّضَى بِالْقَضَاءِ؟" فَاعْلَمْ أَنَّ الرِّضَى تَرْكُ السُّخْطِ. وَالسُّخْطُ ذِكْرُ غَيْرِ مَا قَضَى اللَّهُ بِأَنَّهُ أَوْلَى وَأَصْلَحُ لَهُ فِيمَا لَا يَسْتَيْقِنُ فَسَادَهُ وَصَلَاحَهُ هَذَا شَرْطٌ فِيهِ. <sup>62</sup>

فَإِنْ قُلْتَ: "أَلَيْسَ الشَّرُّ بِقَضَاءِ اللَّهِ تَعَالَى؟ فَكَيْفَ يَرْضَى الْعَبْدُ الشَّرَّ؟" فَاعْلَمْ أَنَّ الرِّضَى إِنَّمَا يَلْزَمُ بِالْقَضَاءِ وَقَضَاءُ الشَّرِّ لَيْسَ بِشَرٍّ، وَإِنَّمَا الشَّرُّ هُوَ الْمَقْضَى. ثُمَّ الْمَقْضِيَّاتُ أَرْبَعَةٌ: [1] نِعْمَةٌ؛ [2] وَشِدَّةٌ؛ [3] وَخَيْرٌ؛ [4] وَشَرٌّ.

<sup>60</sup> قال الشيخ عثمان بن فودي في كتابه عمدة العلماء: وَمِنْ تِلْكَ الْمَنْجِيَّاتِ أَيْضًا الرِّضَى بِقَضَاءِ اللَّهِ تَعَالَى عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: [مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ. ﴿63﴾ [التغابن: 11]. قال شقيق المؤلف عبد الله بن فودي محمد في تفسيره ضياء التأويل في معاني التنزيل: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ. ﴿63﴾ بِتَقْدِيرِهِ وَإِرَادَتِهِ، وَدَخَلَ فِيهَا كُفْرُ الْكَافِرِينَ أَوْلَى إِذْ لَا مُصِيبَةَ أَكْبَرُ مِنْهَا. ﴿64﴾ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ. ﴿65﴾ أَيْ بِأَنَّ الْمُصِيبَةَ بِقَضَائِهِ ﴿يَهْدِ قَلْبَهُ. ﴿66﴾ يَثْبُتُهُ. إِنْ أَبْتَلَاهُ صَبْرًا، وَإِنْ أَعْطَاهُ شُكْرًا، وَإِنْ ظَلَمَهُ أَحَدٌ غَفَرَ.

<sup>61</sup> قال الشيخ عثمان بن فودي في كتابه عمدة العلماء: وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلٍ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ. ﴿57﴾ [الحديد: 22] قال عبد الله بن فودي محمد في ضياء التأويل: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ ﴿57﴾ بِالْجَدْبِ وَالْعَاهَةِ وَالزَّلَازِلِ ﴿58﴾ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ ﴿59﴾ كَالْمَرَضِ وَاللَّافَةِ وَالْمَوْتَانِ وَفَقْدَانِ الْوَالِدَانِ ﴿60﴾ إِلَّا فِي كِتَابٍ ﴿61﴾ إِلَّا مَكْتُوبَةٌ فِي الْوَحْيِ مُثَبَّتَةٌ عِنْدَ اللَّهِ. ﴿62﴾ مِّن قَبْلٍ أَنْ نَبْرَأَهَا ﴿63﴾ نَخْلَقَهَا... ﴿64﴾ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿65﴾ لِاسْتِعْنَانِهِ عَنِ الْعُدَّةِ وَالْمُدَّةِ، ثُمَّ أَشَارَ إِلَى الْحِكْمَةِ فِي ذَلِكَ بِقَوْلِهِ ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا﴾ تَحَزَّنُوا حَزْنًا يَمْنَعُ التَّسْلِيمَ لِأَمْرِ اللَّهِ. ﴿66﴾ عَلَى مَا فَاتَكُمْ. ﴿67﴾ مِنْ نِعَمِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْ عَلِمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ مِنَ الضَّرِّ كَانَ مُقَدَّرَ عَلَيْهِ لَمْ يَشْتَدَّ حَزْنُهُ إِذْ قَدْ وَطَّنَ نَفْسَهُ عَلَى ذَلِكَ.

<sup>62</sup> قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبْ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ، ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [22 الحج: 11] قال عبد الله بن فودي محمد في ضياء التأويل: ﴿وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ﴿62﴾ مِحْنٌ وَ سَقَمٌ فِي نَفْسِهِ أَوْ مَالِهِ ﴿63﴾ أُنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ ﴿64﴾ أَيْ رَجَعَ إِلَى الْكُفْرِ، وَالآيَةُ نَزَلَتْ فِي الْأَعْرَابِ يُقَدِّمُونَ الْمَدِينَةَ [، فَإِنْ صَحَّ الْقَادِمُ مِنْهُمْ وَكَثُرَ مَالُهُ وَأَوْلَادُهُ أَطْمَأَنَّ وَقَالَ: هَذَا دِينٌ خَيْرٌ وَإِلَّا انْقَلَبَ وَتَشَاعَمَ بِهِ، وَقَدْ جَاءَ بَعْضُهُمْ فَاسَلُمَ وَبَايَعَ النَّبِيَّ عَلَى الْإِسْلَامِ، فَأَصَابَتْهُ مَصَائِبٌ فَتَشَاعَمَ، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أَقْلَنِي، فَأَبَى وَقَالَ: "لَا يُقَالُ الْإِسْلَامُ." ﴿65﴾ خَسِرَ الدُّنْيَا ﴿66﴾ لَفَقْدِهَا ﴿67﴾ وَالْآخِرَةَ ﴿68﴾ لِحُبُوطِ عَمَلِهِ، ﴿69﴾ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿70﴾ الْبَيْنُ الَّذِي لَيْسَ فَوْقَهُ خُسْرَانٌ.



فَالنِّعْمَةُ يَجِبُ الرِّضَى فِيهَا بِالْقَاضِي وَالْقَضَاءِ وَالْمَقْضَى، وَعَلَيْهِ الشُّكْرُ مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ نِعْمَةٌ.<sup>63</sup> وَالشَّدَّةُ يَجِبُ الرِّضَى فِيهَا بِمَا ذَكَرَ وَيَجِبُ عَلَيْهَا الصَّبْرُ مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ شِدَّةٌ.<sup>64</sup> وَالْخَيْرُ يَجِبُ الرِّضَى فِيهِ بِمَا ذَكَرَ وَعَلَيْهِ ذِكْرُ الْمَنَّةِ مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ خَيْرٌ.<sup>65</sup> وَالشَّرُّ يَجِبُ الرِّضَى فِيهِ بِمَا ذَكَرَ لَكِنْ رِضَاهُ بِالْمَقْضَى مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ شَرٌّ.<sup>66</sup> ثُمَّ أَعْلَمَ أَنَّ هَذَا الْأُمُورَ إِنَّمَا تَكُونُ بِالْقَلْبِ.<sup>67</sup>

### العَارِضُ الرَّابِعُ الشَّدَائِدُ وَالْمَصَائِبُ

وَإِنَّمَا كَفَايَتُهَا بِالصَّبْرِ فَعَلَيْكَ بِالصَّبْرِ فِي الْمَوَاطِنِ وَإِنَّمَا ذَلِكَ لِأَمْرَيْنِ: [أَحَدُهُمَا] لِلْوُصُولِ إِلَى الْعِبَادَةِ لِأَنَّ مَبْنَى أَمْرِ الْعِبَادَةِ كُلُّهُ عَلَى الصَّبْرِ، وَذَلِكَ أَنَّ مَنْ قَصَدَ عِبَادَةَ اللَّهِ تَعَالَى وَتَجَرَّدَ لَهَا إِسْتِقْبَالَتَهُ عَوَارِضُ وَشَدَائِدُ وَمِحَنٌ وَمَصَائِبُ، بَلِ الْعِبَادَةُ نَفْسُهَا مَشَقَّةٌ إِذْ لَا يَبْتَأَى فِعْلُ الْعِبَادَةِ إِلَّا بِقَمْعِ النَّفْسِ وَقَهْرِ النَّفْسِ مِنْ أَشَدِّ الْأُمُورِ، ثُمَّ يَلْزَمُ الْإِحْتِيَاطَ مَعَ ذَلِكَ لِيَلَّا يَفْسُدَ وَالْإِبْقَاءَ عَلَى الْعَمَلِ أَشَدُّ مِنَ الْعَمَلِ، ثُمَّ إِنَّ الدَّارَ دَارُ مِحْنَةٍ لَا بُدَّ مِنَ الْإِبْتِلَاءِ بِأَقْسَامِ الشَّدَائِدِ وَالْمَصَائِبِ كَمَوْتِ الْأَهْلِ وَالْقَرَابَاتِ وَالْإِخْوَانِ وَالْأَصْحَابِ وَالْإِبْتِلَاءِ النَّفْسِ بِالْأَمْرَاضِ وَالْأَوْجَاعِ وَقِتَالِ النَّاسِ إِيَّاكَ وَالطَّمَعِ فِيكَ وَالْغَيْبَةِ لَكَ وَالْكَذِبِ عَلَيْكَ وَذَهَابِ مَالِكَ لِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْ هَذِهِ الْمَصَائِبِ لِدَعَاةٍ، ثُمَّ إِنَّ طَالِبَ الْآخِرَةِ أَشَدَّ إِبْتِلَاءً مِنْ كَانَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَقْرَبَ، فَالْمَصَائِبُ لَهُ فِي الدُّنْيَا أَكْثَرُ يَا أَخِي أَنْ أَرَدْتَ قَطْعَ طَرِيقِ الْآخِرَةِ، فَاجْعَلْ فِي نَفْسِكَ أَرْبَعَةَ أَلْوَانٍ: [1] الْمَوْتُ الْأَبْيَضُ وَهُوَ الْجُوعُ، [2] وَالْأَحْمَرُ وَهُوَ مُخَالَفَةُ الشَّيْطَانِ، [3] وَالْأَسْوَدُ وَهُوَ ذَمُّ النَّاسِ، [4] وَالْأَخْضَرُ وَهُوَ الْوَقَائِعُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، [وَالثَّانِي] مِنَ الْأَمْرَيْنِ لِمَا فِي الصَّبْرِ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا.

يَا أَخِي عَلَيْكَ بِقَطْعِ هَذِهِ الْعَوَارِضِ الْأَرْبَعَةِ وَاللَّا فَشَغْلٌ وَاحِدٌ مِنْهَا يَمْنَعُكَ عَنِ الْعِبَادَةِ، ثُمَّ أَعْظَمُهَا وَأَعْضَلُهَا أَمْرُ الرِّزْقِ إِذْ هُوَ الَّذِي صَرَفَ قُلُوبَ عَامَّةِ الْخَلْقِ عَنِ بَابِ اللَّهِ وَلَمْ تَزَلِ الْأَنْبِيَاءُ وَالْعُلَمَاءُ يَعِظُونَ وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لَا يَهْتَدُونَ، بَلْ لَا يَزَالُونَ يَخَافُونَ أَنْ يَفُوتَهُمْ غَدَىءٌ وَعِشَاءٌ، وَأَصْلُ ذَلِكَ كُلُّهُ قَلَّةُ التَّدَبُّرِ بِبَيِّنَاتِ اللَّهِ وَصَنَائِعِهِ سُبْحَانَهُ، وَتَرَكَ التَّدَبُّرَ بِكَلَامِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَرَكَ التَّأَمُّلَ لِأَقْوَالِ الصَّالِحِينَ

<sup>63</sup> الشُّكْرُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجِهٍ: [1] شُكْرُ بِالْقَلْبِ وَهُوَ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ النِّعْمَةَ كُلَّهَا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى. [2] وَشُكْرٌ بِاللِّسَانِ وَهُوَ التَّنْثِيءُ عَلَى اللَّهِ وَكَثْرَةُ الْحَمْدِ وَالْمَدْحِ لَهُ، وَمِنْ شُكْرِ اللِّسَانِ أَيْضًا شُكْرُ الْوَسَائِطِ النَّشَاءِ عَلَيْهِمْ وَالذَّعَاسِ لَهُمْ. [3] وَشُكْرٌ بِسَائِرِ الْجَوَارِحِ بِإِتِّبَاعِ أَمْرِ اللَّهِ وَاجْتِنَابِ مُحَرَّمِهِ.

<sup>64</sup> قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ( " وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ، وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ، الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ، قَالُوا إِنَّ لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ. " )

[2 البقرة: 155-157]

<sup>65</sup> قَالَ تَعَالَى: ( " فَإِذَا أَصَابَ بِهٍ مِّنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ. " ) [30 الروم: 48]

<sup>66</sup> قَالَ تَعَالَى: ( " مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ. " ) [4 النساء: 79]

<sup>67</sup> قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: " مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ وَصَبٍ وَلَا نَصَبٍ وَلَا سَقَمٍ وَلَا حَزَنٍ حَتَّى يَهْمَ بِهِمْهُ إِلَّا كَفَّرَ بِهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِ. "



مَعَ الإِسْتِرْسَالِ بِوَسْوَاسِ الشَّيْطَانِ وَالْإِصْنَاعِ إِلَى كَلَامِ الْجَاهِلِينَ وَالْإِغْتِرَارِ بِعَادَاتِ الْغَافِلِينَ حَتَّى تَمَكَّنَ الشَّيْطَانُ مِنْهُمْ وَرَسَخَتْ الْعَادَاتُ فِي قُلُوبِهِمْ فَأَدَّى ذَلِكَ إِلَى ضَعْفِ الْقَلْبِ، وَأَمَّا أَوْلُوا الْبَصَائِرِ وَالْإِجْتِهَادِ لَمْ يَعْبُتُوا بِأَسْبَابِ الْأَرْضِ وَاعْتَصَمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ فَلَمْ يَنْفَتُوا إِلَى وَسْوَاسِ الشَّيْطَانِ وَالْخَلْقِ وَالنَّفْسِ، فَإِذَا وَسَّوَسَ لَهُمْ شَيْطَانٌ أَوْ نَفْسٌ أَوْ إِنْسَانٌ قَامُوا بِالْمُدَافَعَةِ وَالْمُخَالَفَةِ حَتَّى وَلَّى الْخَلْقُ عَنْهُمْ وَاعْتَزَلَ عَنْهُمْ الشَّيْطَانُ، وَإِنْقَادَتْ لَهُمُ النَّفْسُ يَا أَخِي إِنَّمَا قَامُوا بِبِنَايَةِ الْمُجَاهِدَاتِ بِقُوَّةِ الْعِلْمِ وَتَوَرُّ الْيَقِينِ، وَقَدْ عَلِمْتَ يَا أَخِي ضَمَانَ اللَّهِ لِقَوْمِ الْبِنْيَةِ بِلَا سَبَبٍ، وَكَذَلِكَ قَوَى الزُّهَادُ عَلَى الْأَسْفَارِ وَطَيَّ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامَ، فَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَأْكُلْ عَشْرَةَ أَيَّامٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَأْكُلْ شَهْرًا أَوْ شَهْرَيْنِ، وَهُوَ عَلَى قُوَّتِهِ.

وَأَمَّا التَّفْوِيضُ فَتَأَمَّلْ فِيهِ أُصْلَيْنِ: [أَحَدُهُمَا] أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْإِخْتِيَارَ لَا يَصْلُحُ إِلَّا لِمَنْ كَانَ عَالِمًا بِالْأُمُورِ بِجَمِيعِ جِهَاتِهَا ظَاهِرِهَا وَبَاطِنِهَا حَالِهَا وَعَاقِبَتِهَا، وَإِلَّا فَلَا تَأْمَنُ مِنْ أَنْ تَخْتَارَ الْفَسَادَ وَالْهَلَاكَ عَلَى مَا فِيهِ الْخَيْرُ وَالصَّلَاحُ، وَهَذَا الْعِلْمُ الْمُحِيطُ لَا يَصْلُحُ إِلَّا لِرَبِّ الْعَالَمِينَ، [وَالثَّانِي] لَوْ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لَكَ إِنِّي أَقُومُ لَكَ بِجَمِيعِ مَصَالِحِكَ وَهُوَ عِنْدَكَ أَعْلَمُ أَهْلَ زَمَانِكَ وَأَقْوَاهُمْ وَأَصْدَقَهُمْ سَكَنَ قَلْبُكَ فَمَا لَكَ إِذَا إِلَّا أَنْ تُفَرِّضَ الْأُمُورَ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ سُبْحَانَهُ وَهُوَ يُدَبِّرُ الْأُمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ أَعْلَمُ كُلَّ عَالِمٍ وَأَقْدَرُ وَأَرْحَمُ كُلَّ رَاحِمٍ وَأَغْنَى كُلَّ غَنِيٍّ لِيَخْتَارَ لَكَ.

وَأَمَّا الرِّضَى بِالْقَضَاءِ فَتَأَمَّلْ فِيهِ أُصْلَيْنِ مُقْنَعَيْنِ: [أَحَدُهُمَا] فَرَاغُ الْقَلْبِ مِنَ الِهْمِّ وَتَوَابُّ اللَّهِ وَرِضْوَانُهُ، [وَالثَّانِي] مَا فِي السُّخْطِ مِنْ عَظِيمِ الْخَطَرِ وَالضَّرَرِ وَلَقَدْ صَدَقَ بَعْضُ السَّلَفِ إِذْ قِيلَ لَهُ مَا الْعُبُودِيَّةُ وَالرُّبُوبِيَّةُ؟ فَقَالَ الرَّبُّ يَفْضِي وَالْعَبْدُ يَرْضَى وَإِلَّا فَمَا هُنَاكَ رُبُوبِيَّةٌ وَلَا عُبُودِيَّةٌ. وَأَمَّا الصَّبْرُ فَإِنَّهُ دَوَاءٌ وَشَرِبُهُ كَرِيهَةٌ مُبَارَكَةٌ تَجْلِبُ كُلَّ مَنَفَعَةٍ وَتَدْفَعُ عَنكَ كُلَّ مَضَرَّةٍ، وَإِذَا كَانَ الدَّوَاءُ بِهَذِهِ الصِّفَةِ فَالْعَاقِلُ يُكْرَهُ النَّفْسَ عَلَى شَرِبِهِ، ثُمَّ إِنَّ الصَّبْرَ أَرْبَعَةٌ: [1] صَبْرٌ عَلَى الطَّاعَةِ، [2] وَصَبْرٌ عَنِ الْمَعْصِيَةِ، [3] وَصَبْرٌ عَنِ فُضُولِ الدُّنْيَا، [4] وَصَبْرٌ عَنِ الْمَحَنِ وَالْمَصَائِبِ، وَاللَّهُ الْمَسْئُولُ أَنْ يُمِدَّنَا بِحُسْنِ تَوْفِيقِهِ فَإِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ بِيَدِهِ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.



SANKORE'

فِي إِتِّزَامِ الْبَوَاعِثِ إِلَى الْعِبَادَةِ:  
الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ فِي كُلِّ أَوْقَاتٍ

Institute of Islamic-African Studies International

## بَابُ الْإِتِّزَامِ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ فِي كُلِّ أَوْقَاتٍ

ثُمَّ عَلَيْكَ يَا أَخِي بِالِتِّزَامِ الْبَوَاعِثِ إِلَى الْعِبَادَةِ وَهِيَ الْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ، فَأَمَّا الْخَوْفُ إِنَّمَا يَجِبُ الْإِتِّزَامُ لِلْمُرَيْنِ: [أَحَدُهُمَا] الزَّجْرُ عَنِ الْمَعَاصِي، [الثَّانِي] لِيَلَّا تَعْجَبَ بِالطَّاعَةِ فَتَهْلِكَ. وَأَمَّا الرَّجَاءُ فَإِنَّمَا يَلْزَمُ لِلْمُرَيْنِ: [أَحَدُهُمَا] الْبَعْثُ إِلَى الطَّاعَاتِ، [وَالثَّانِي] لِيَهُونَ عَلَيْكَ احْتِمَالُ الشَّدَائِدِ وَالْمَشَقَّاتِ.

فَإِن قُلْتَ: مَا الْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ؟ فَاعْلَمْ أَنَّ الْخَوْفَ وَالرَّجَاءَ يَرْجِعَانِ إِلَى قَبِيلِ الْخَوَاطِرِ، وَلَيْسَ مِنْ مَقْدُورِ الْعَبْدِ، وَإِنَّمَا الْمَقْدُورُ لِلْعَبْدِ مُقَدَّمَاتُهَا، فَحَدُّ الْخَوْفِ رَعْدَةٌ تَحْدُثُ فِي الْقَلْبِ عَنِ ظَنِّ مَكْرُوهٍ بِبَالِهِ، وَحَدُّ الرَّجَاءِ إِبْتِهَاجُ الْقَلْبِ بِمَعْرِفَةِ فَضْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَسِعَةِ رَحْمَتِهِ، وَمُقَدَّمَاتُ الْخَوْفِ أَرْبَعٌ: [1] ذِكْرُ الذُّنُوبِ الَّتِي مَضَتْ، [2] وَذِكْرُ شِدَّةِ عَذَابِ اللَّهِ، [3] وَذِكْرُ ضَعْفِ نَفْسِكَ، [4] وَذِكْرُ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى مَتَى مَا شَاءَ وَكَيْفَ شَاءَ. وَمُقَدَّمَاتُ الرَّجَاءِ أَرْبَعٌ: [1] ذِكْرُ سَوَابِقِ فَضْلِهِ إِلَيْكَ مِنْ غَيْرِ قَدَمٍ أَوْ شَفِيعٍ، [2] وَذِكْرُ مَا وَعَدَ مِنْ جَزِيلِ ثَوَابِهِ دُونَ اسْتِحْقَاقِكَ إِيَّاهُ بِالْفِعْلِ، [3] وَذِكْرُ كَثْرَةِ نِعَمِهِ فِي أَمْرٍ دِينِكَ وَدُنْيَاكَ فِي الْحَالِ مِنْ غَيْرِ اسْتِحْقَاقٍ أَوْ سُؤَالٍ، [4] وَذِكْرُ سَعَةِ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى.

يَا أَخِي وَالْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ هُوَ الطَّرِيقُ الْعَدْلُ بَيْنَ طَرِيفَيْنِ مُهْلِكَيْنِ، وَهُمَا الْأَمْنُ وَالْيَأْسُ، ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ الطَّرِيقَ لَا يَصْلُحُ سُلُوكُهُ مَعَ هَذِهِ النَّفْسِ الْجُمُوحِ الْكَسَلَةِ عَنِ الْخَيْرِ إِلَّا بِالتَّحْفُظِ بِثَلَاثَةِ أُصُولٍ أَبَدًا: [1] ذِكْرُ أَقْوَالِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ، [2] وَذِكْرُ أَعْمَالِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي الْأَخْذِ وَالْعَفْوِ، [3] وَذِكْرُ جَزَائِهِ لِلْعِبَادِ فِي الْمَعَادِ مِنَ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ.

### الْأَصْلُ الْأَوَّلُ: فِي ذِكْرِ أَقْوَالِهِ فِي التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ

مِنْ آيَاتِ التَّرْغِيبِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ اللَّهُ إِلَّا اللَّهُ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿كُتِبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾، فَهَذِهِ وَنَحْوُهَا آيَاتُ الرَّجَاءِ. وَمِنْ آيَاتِ الْخَوْفِ قَوْلُهُ: ﴿ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُوا﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبْنًا وَانْتُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾، وَنَحْوُ ذَلِكَ.

وَمِنْ الْآيَاتِ الْجَامِعَةِ بَيْنَ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ قَوْلُهُ: ﴿نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغُفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ثُمَّ قَالَ فِي عَقِبِهِ: ﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾ ثُمَّ قَالَ فِي عَقِبِهِ: ﴿ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾، وَأَعْجَبَ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ ثُمَّ قَالَ فِي عَقِبِهِ: ﴿وَاللَّهُ رُؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾، وَأَعْجَبَ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنْ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾، عَلَّقَ الْخَشْيَةَ بِاسْمِ الرَّحْمَنِ دُونَ اسْمِ الْجَبَّارِ وَالْمُنْتَقِمِ وَالْمُتَكَبِّرِ وَنَحْوِهِ لِتَكُونَ الْخَشْيَةُ مَعَ ذِكْرِ الرَّحْمَةِ.

### الأصل الثاني: في أفعاله تعالى

وَالأَصْلُ الثَّانِي فِي أَفْعَالِهِ: أَمَّا مِنْ جَنْبِ الخَوْفِ فَادْكُرُ أَمْرَ إِبْلِيسَ وَبَلْعَمَ، وَأَمَّا مِنْ جَنْبِ الرَّجَاءِ فَادْكُرْ سَحْرَةَ فِرْعَوْنَ وَأَصْحَابَ الكَهْفِ وَكَلْبَهُمْ.

### الأصل الثالث: في ذكر ما وعد وما أوعد في المعاد

وَالأَصْلُ الثَّلَاثُ فِي ذِكْرِ مَا وَعَدَ وَمَا أُوْعِدَ فِي المَعَادِ نَذْرُكَ لَكَ أَحْوَالاً مِّنْ ذَلِكَ لِيزِيدَ خَوْفَكَ وَرَجَاءَكَ مِنْهَا المَوْتُ وَالقَبْرُ وَالْقِيَامَةُ وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ. أَمَّا المَوْتُ فَادْكُرْ حَالَ رَجُلَيْنِ، أَحَدُهُمَا مَا رَوَى عَنِ ابْنِ شُبْرُمَةَ<sup>68</sup> أَنَّهُ قَالَ: "دَخَلْتُ مَعَ الشَّعْبِيِّ<sup>69</sup> عَلَى مَرِيضٍ وَهُوَ لِمَا بِهِ وَعِنْدَهُ رَجُلٌ يُلْقِنُهُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَتَكَلَّمَ المَرِيضُ إِنِّي لَمْ أَدْعُهَا، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ فَقَالَ الشَّعْبِيُّ: "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّى صَاحِبِنَا." وَالْأَخْرُ مَا حُكِيَ أَنَّ تَلْمِيزَ الفُضَيْلِ<sup>70</sup> حَضَرَتْهُ الوَفَاتُ فَدَخَلَ عَلَيْهِ الفُضَيْلُ ابْنُ عِيَاضٍ وَجَلَسَ عِنْدَ رَأْسِهِ وَقَرَأَ سُورَةَ يَاسٍ، فَقَالَ: لَا أَقُولُهَا لِأَنِّي بَرِيءٌ مِنْهَا وَمَاتَ عَلَى ذَلِكَ، فَدَخَلَ الفُضَيْلُ مَنْزِلَهُ فَجَعَلَ يَبْكِي أَرْبَعِينَ يَوْمًا لَمْ يَخْرُجْ مِنَ البَيْتِ، ثُمَّ رَآهُ فِي النُّومِ يُسْحَبُ إِلَى جَهَنَّمَ فَقَالَ: بَأَيِّ شَيْءٍ نَزَعَ اللَّهُ المَعْرِفَةَ عَنكَ وَكُنْتَ أَعْلَمَ تَلَامِيذِي، فَقَالَ: بِثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ: النَّمِيمَةِ وَالْحَسَدِ وَشَرْبِ الخَمْرِ. وَأَمَّا

<sup>68</sup> وهو الإمام العلامة فقيه العراق أبو شبرمة قاضي الكوفة، وكان من أئمة الفروع، وأما الحديث فما هو بالمكثّر منه، له نحو من ستين أو سبعين حديثاً، قال أحمد بن عبد الله العجلي: كان ابن شبرمة عفيفاً، صارماً، عاقلاً، خيراً، يشبه النساك، وكان شاعراً، كريماً، جواداً، له نحو من خمسين حديثاً، توفي: سنة أربع وأربعين ومائة.

<sup>69</sup> وهو عامر بن سراحيل بن عبد بن ذي كبار الشعبي، الإمام، علامة العصر، أبو عمرو الهمداني، ثم الشعبي، مولده: في إمرة عمر بن الخطاب، لست سنين خلت منها، فهذه رواية، وسمع من: عدة من كبار الصحابة، وعن منصور بن عبد الرحمن، عن الشعبي، قال: أدركت خمس مائة من أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم، قال: وأقام في المدينة ثمانية أشهر هارباً من المختار، فسمع من ابن عمر، وتعلم الحساب من الحارث الأعور، وكان حافظاً، وما كتب شيئاً قط، قال إسماعيل بن مجالد، وخليفة، وطائفة: مات الشعبي سنة أربع ومائة.

<sup>70</sup> وهو أبو علي الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي الإمام القدوة الثبت شيخ الإسلام اليربوعي الخراساني، المجاور بحرمة الله، كان الفضيل بن عياض شاطراً يقطع الطريق بين أبيورد وسرخس، وكان سبب توبته أنه عشق جارية، فبينما هو يرتقي الجدران إليها، إذ سمع تالياً يتلو: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ...﴾ فَلَمَّا سَمِعَهَا، قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ، قَدْ أَنْ. فَرَجَعَ، فَأَوَاهُ اللَّيْلُ إِلَى خَرِبَةٍ، فَإِذَا فِيهَا سَابِلَةٌ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: نَرَحُلُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: حَتَّى نُصْبِحَ، فَإِنَّ فُضَيْلاً عَلَى الطَّرِيقِ يَقْطَعُ عَلَيْنَا، قَالَ: فَفَكَّرْتُ، وَقُلْتُ: أَنَا أَسْعَى بِاللَّيْلِ فِي المَعَاصِي، وَقَوْمٌ مِنَ المُسْلِمِينَ هَا هُنَا يَخَافُونِي، وَمَا أَرَى اللَّهَ سَاقِنِي إِلَيْهِمْ إِلَّا لِأَرْتَدِعَ، اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ نَبْتُ إِلَيْكَ، وَجَعَلْتُ تَوْبَتِي مُجَاوِرَةَ البَيْتِ الحَرَامِ، قَالَ النُّضْرُ بْنُ شَمِيلٍ: سَمِعْتُ الرَّشِيدَ يَقُولُ: مَا رَأَيْتُ فِي العُلَمَاءِ أَهْيَبَ مِنْ مَالِكٍ، وَلَا أَوْرَعَ مِنَ الفُضَيْلِ، قَالَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبرَاهِيمَ الطَّبْرِيِّ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَخَوْفَ عَلَى نَفْسِهِ، وَلَا أَرْجَى لِلنَّاسِ مِنَ الفُضَيْلِ، كَانَتْ قِرَاءَتُهُ حَزِينَةً، شَهِيَّةً، بَطِينَةً، مُتْرَسَلَةً، كَأَنَّهُ يُخَاطَبُ إِنْسَانًا، وَكَانَ إِذَا مَرَّ بَأَيَّةٍ فِيهَا ذَكَرَ الجَنَّةَ، يُرَدِّدُ فِيهَا.

الْفَقِيرُ وَالْحَالُ بَعْدَ الْمَوْتِ فَادْكُرْ حَالَ رَجُلَيْنِ مَا ذَكَرَ بَعْضُ الصَّالِحِينَ قَالَ: "رَأَيْتُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ<sup>71</sup> بَعْدَ مَوْتِهِ فِي النَّوْمِ فَقُلْتُ لَهُ: "كَيْفَ حَالُكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ؟" فَأَعْرَضَ عَنِّي، وَقَالَ: "لَيْسَ هَذَا زَمَانُ الْكُنَى"، فَقُلْتُ لَهُ: "كَيْفَ حَالُكَ يَا عَبْدَ اللَّهِ؟"، فَأَنْشَدَ يَقُولُ:

نَظَرْتُ إِلَى رَبِّي عَيْنَانَا فَقَالَ لِي      هَنِيئًا رَضَائِي عَنْكَ يَا بَنِي سَعِيدِي  
لَقَدْ كُنْتُ قَوْمًا إِذَا اللَّيْلُ قَدْ دَجَى      بِعَبْرَةِ مُشْتَقٍ وَقَلْبِ عَمِيدِي  
فَدُونِكَ فَاخْتَرْتُ أَيَّ قَصْرِ تُرِيدُهُ      وَرُزْنِي فَإِنِّي عَنْكَ غَيْرُ بَعِيدِي."

وَالرَّجُلُ الثَّانِي الَّذِي رَأَى مَغْلُولًا بَعْدَ مَوْتِهِ، فَقِيلَ لَهُ: "مَا فَعَلَ بِكَ؟" فَأَنْشَدَ يَقُولُ:

تَوَلَّى زَمَانٌ لَعِينًا بِهِ      فَهَذَا زَمَانٌ بِنَا يَلْعَبُ

وَأَمَّا الْقِيَامَةُ فَتَأَمَّلْ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفِدًا \* وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًا﴾. وَأَمَّا الْجَنَّةُ وَالنَّارُ فَتَأَمَّلْ فِيهِمَا آيَاتِنِ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾، وَقَوْلَهُ: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ \* قَالَ أَخْسَوْا فِيهَا وَلَا تَكَلَّمُونَ﴾. قَالَ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ<sup>72</sup>: "لَا نَدْرِي أَيُّ الْمُصِيبَاتِ أَعْظَمَ فَوْتَ الْجَنَانِ أَوْ دُخُولِ النَّارِ، أَمَّا الْجَنَّةُ فَلَا صَبْرَ عَنْهَا وَأَمَّا النَّارُ فَلَا صَبْرَ عَلَيْهَا، عَلَى كُلِّ حَالٍ فَوْتَ النَّعِيمِ أَيْسَرُ مِنْ مَقَاسَاتِ الْجَحِيمِ."



<sup>71</sup> وهو أبو عبد الله سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ بْنُ سَعِيدِ بْنِ مَسْرُوقِ بْنِ حَبِيبِ بْنِ رَافِعِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَوْهَبَةَ بْنِ أَبِي بِنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُنْقِذِ بْنِ نَصْرِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عَامِرِ بْنِ مِلْكَانِ بْنِ ثَوْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، هُوَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ، إِمَامُ الْحِفَاطِ، سَيِّدُ الْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ فِي زَمَانِهِ، الْمُجْتَهِدُ، مُصَنِّفُ كِتَابِ الْجَامِعِ، وُلِدَ: سَنَةَ سَبْعٍ وَتِسْعِينَ اتِّفَاقًا، وَطَلَبَ الْعِلْمَ وَهُوَ حَدَّثَ بِاعْتِنَاءٍ وَالِدِهِ الْمُحَدَّثِ الصَّادِقِ سَعِيدِ بْنِ مَسْرُوقِ الثَّوْرِيِّ، وَكَانَ وَالِدُهُ مِنْ أَصْحَابِ الشَّعْبِيِّ، وَوُلِدَ سُفْيَانُ سَنَةَ ثَمَانَ وَتِسْعِينَ، وَمَاتَ وَلَهُ ثَلَاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، وَمَاتَ: سَنَةَ سِتِّ وَعِشْرِينَ وَمِائَةً.

<sup>72</sup> وهو يَحْيَى بْنُ مُعَاذِ الرَّازِيِّ الْوَاعِظُ، مِنْ كِبَارِ الْمَشَائِخِ، لَهُ كَلَامٌ جَيِّدٌ، وَمَوَاعِظُ مَشْهُورَةٌ، وَعَنْهُ قَالَ: الدَّرَجَاتُ سَبْعٌ: التَّوْبَةُ، ثُمَّ الزُّهْدُ، ثُمَّ الرِّضَى، ثُمَّ الْخَوْفُ، ثُمَّ الشُّوقُ، ثُمَّ الْمَحَبَّةُ، ثُمَّ الْمَعْرِفَةُ.

# SANKORE'

فِي دَفْعِ الْقَوَادِحِينَ:

الرِّيَاءِ وَالْعُجْبِ

Institute of Islamic-African Studies International

## بَابُ فِي نَفْيِ الرِّيَاءِ وَالْعُجْبِ

ثُمَّ عَلَيْكَ يَا أَخِي بَدْفِعِ الْقَوَادِحَ، وَالْقَادِحُ الْأَوَّلُ الرِّيَاءُ وَدَفَعُهُ بِالْإِخْلَاصِ لِيَكُونَ الْعَمَلُ مَقْبُولًا. فَإِنْ قُلْتَ فَأَخْبِرْنَا حَقِيقَةَ الْإِخْلَاصِ وَالرِّيَاءِ،

فَاعْلَمْ أَنَّ الْإِخْلَاصَ إِخْلَاصَانِ: [1] إِخْلَاصُ الْعَمَلِ، [2] وَإِخْلَاصُ طَلَبِ الْآخِرَةِ. فَأَمَّا إِخْلَاصُ الْعَمَلِ فَهُوَ إِرَادَةُ التَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَمَّا إِخْلَاصُ طَلَبِ الْآخِرَةِ فَهُوَ إِرَادَةُ نَفْعِ الْآخِرَةِ بِعَمَلِ الْخَيْرِ، قَالَ الْفَضِيلُ: "الْإِخْلَاصُ دَوَامُ الْمُرَاقَبَةِ وَنَسْيَانِ الْحُطُوطِ كُلِّهَا." وَهَذَا هُوَ الْبَيَانُ الْكَامِلُ.

وَضِدُّ الْإِخْلَاصِ الرِّيَاءُ وَهُوَ إِرَادَةُ نَفْعِ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ، ثُمَّ الرِّيَاءُ ضَرْبَانِ: [1] رِيَاءٌ مَحْضٌ، [2] وَرِيَاءٌ تَخْلِيطِي، وَالْمَحْضُ إِرَادَةُ نَفْعِ الدُّنْيَا لَا غَيْرُ، وَالتَّخْلِيطُ إِرَادَةُ نَفْعِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَمَا مَوْضِعُ الْإِخْلَاصِ فِي أَيِّ طَاعَةٍ يَقَعُ وَيَجِبُ؟ فَاعْلَمْ أَنَّ الْأَعْمَالَ ثَلَاثَةٌ أَقْسَامٌ: [1] الْعِبَادَاتُ الظَّوَاهِرُ، [2] وَالْأَعْمَالُ الْبَاطِنَةُ، [3] وَالْمُبَاهَاةُ، وَفِي الْأَوَّلِينَ إِخْلَاصٌ وَفِي الْآخِرِينَ إِخْلَاصٌ طَلَبِ الْأَجْرِ.

فَإِنْ قُلْتَ: أَكُلُّ عَمَلٍ يَحْتَاجُ إِلَى إِخْلَاصٍ مُفْرَدٍ؟ فَاعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ اخْتَلَفَ فِيهِ، فَقِيلَ: إِنَّهُ يَجِبُ لِكُلِّ عَمَلٍ إِخْلَاصٌ مُفْرَدٌ، وَقِيلَ يَجُوزُ تَنَاوُلُ الْإِخْلَاصِ لِحُمْلَةِ مَنَ الْعِبَادَاتِ.

فَإِنْ قُلْتَ: إِنْ أَرَادَ بِعَمَلِهِ الْخَيْرَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَلَا يُرِيدُ مِنَ النَّاسِ شَيْئًا مِّنْ مَّدْحَةٍ أَوْ سَمْعَةٍ أَوْ مَنَفَعَةٍ، أَيْكُونَ ذَلِكَ رِيَاءً؟ فَاعْلَمْ أَنَّ ذَلِكَ مَحْضُ الرِّيَاءِ اعْتِبَارُ الرِّيَاءِ بِالْمُرَادِ لَا بِالَّذِي يُرِيدُ مِنْهُ، فَإِنْ كَانَ مُرَادُكَ مِنَ عَمَلِ الْخَيْرِ نَفْعًا دُنْيَوِيًّا فَإِنَّهُ رِيَاءٌ سِوَاءَ كَانَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى أَوْ مِنَ النَّاسِ.

فَإِنْ قُلْتَ: إِذَا كَانَ الْقَصْدُ فِي الدُّنْيَا الَّتِي يُرِيدُهَا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لَتَعَقُّفٍ عَنِ النَّاسِ وَالْعُدَّةِ عَلَى عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى أَيْكُونَ ذَلِكَ رِيَاءً؟ فَاعْلَمْ أَنَّ ذَلِكَ وَمَا يَتَّصِلُ بِأَمْرِ الْآخِرَةِ لَا رِيَاءَ فِيهِ، وَكَذَلِكَ إِنْ أَرَدْتَ أَنْ يَكُونَ لَكَ تَعْظِيمٌ عِنْدَ النَّاسِ وَمَحَبَّةٌ عِنْدَ الْمَشَائِخِ وَالْأَيِّمَةِ أَوْ يَكُونَ قَصْدُكَ فِي ذَلِكَ التَّمَكُّنِ مِنْ تَأْيِيدِ مَذْهَبِ الْحَقِّ وَالرَّدِّ عَلَى أَهْلِ الْبِدْعِ وَالنَّشْرِ لِلْعِلْمِ أَوْ حَضِّ النَّاسِ عَلَى الْعِبَادَةِ دُونَ أَنْ تَقْصُدَ شَرَفَ نَفْسِكَ مِنْ حَيْثُ هِيَ أَوْ دُنْيَا لَهَا، فَإِنَّ هَذِهِ كُلُّهَا نِيَّاتٌ مَحْمُودَةٌ لَا يَدْخُلُ شَيْءٌ مِنْهَا فِي بَابِ الرِّيَاءِ إِذِ الْمَقْتُوذُ مِنْهَا أَمْرُ الْآخِرَةِ بِالْحَقِيقَةِ.

وَالْقَادِحُ الثَّانِي الْعُجْبُ، وَإِنَّمَا يَلْزِمُكَ اجْتِنَابُهُ لِأَمْرَيْنِ: [أَحَدُهُمَا] إِنَّهُ يَحْجُبُ عَنِ التَّوْفِيقِ، [وَالثَّانِي] إِنَّهُ يُفْسِدُ الْعَمَلَ الصَّالِحَ بِشَيْءٍ دُونَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَضِدُّ الْعُجْبِ ذِكْرُ الْمَنَّةِ، وَهُوَ أَنْ يَذْكَرَ أَنَّهُ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَأَنَّهُ الَّذِي شَرَّفَهُ وَعَظَّمَتْ نَوَابَهُ وَقَدَّرَهُ، وَهَذَا الذِّكْرُ فَرَضٌ عِنْدَ دَوَاعِي الْعُجْبِ وَنَفْلٌ فِي سَائِرِ الْأَوْقَاتِ.

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ النَّاسَ فِي الْعُجْبِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَصْنَافٍ: [1] صَنَفٌ هُمْ الْمُعْجِبُونَ بِكُلِّ حَالٍ وَهُمْ الْمُعْتَزَلَةُ<sup>73</sup> وَالْقَدْرِيَّةُ، [2] وَصَنَفٌ هُمْ الذَّاكِرُونَ لَمِنَّةِ كُلِّ حَالٍ وَهُمْ الْمُسْتَقِيمُونَ لَا يُعْجِبُونَ بِشَيْءٍ مِّنَ الْأَعْمَالِ، [3] وَالثَّلَاثُ هُمْ الْمُخْلِصُونَ وَهُمْ الْعَامَّةُ أَهْلُ السُّنَّةِ يَنْتَبَهُونَ تَارَةً وَيَغْفُلُونَ تَارَةً.

وَأَمَّا الْبَاعِثُ عَلَى تَرْكِ الرِّيَاءِ فَهُوَ أَنْ تَذْكَرَ قَوْلَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾، كَانَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَقُولُ إِنِّي خَلَقْتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا، وَكَتَفَيْتَ بِنَظْرِكَ لِتَعْلَمَ أَنِّي عَالِمٌ قَادِرٌ وَأَنْتَ تُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ مَعَ مَا فِيهِمَا مِنَ الْمَعَانِبِ وَالنَّقْصِيرِ فَلَا تَكْتَفِي بِنَظْرِي إِلَيْكَ وَبِعِلْمِي بِكَ وَتِنَاءِي عَلَيْكَ وَشُكْرِي لَكَ حَتَّى تُحِبَّ أَنْ يَعْلَمَ الْخَلْقُ لِمَدْحُوكَ بِذَلِكَ وَيُحِبُّونَكَ أَفَلَا تَعْقِلُ، ثُمَّ أَذْكَرُ هَلْ مِنْ كَانَ لَهُ جَوْهَرٌ نَفِيسٌ يُمَكِّنُهُ أَنْ يَأْخُذَ أَلْفَ أَلْفِ دِينَارٍ بِفَاعِهِ بِفَلْسٍ أَلَيْسَ يَكُونُ ذَلِكَ خُسْرَانًا عَظِيمًا وَرِضْوَانُ اللَّهِ أَكْبَرُ إِذْ رِضْوَانُ اللَّهِ أَفْضَلُ مِنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا فِيهِمَا، ثُمَّ أَذْكَرُ أَنَّ الْمَخْلُوقَ الَّذِي لِأَجْلِهِ تَعْمَلُ لَوْ عِلْمُ أَنَّكَ تَعْمَلُ لِأَجْلِهِ لِأَبْغَضِكَ، ثُمَّ إِنْ كُنْتَ لَا تَفْعَلُ لِلَّهِ وَقَصَدْتَ بِعَمَلِكَ رِضَى الْمَخْلُوقِينَ فَإِنَّ اللَّهَ يُصَرِّفُ عَنْكَ قُلُوبَهُمْ وَيُفَرِّغُ عَنْكَ نَفُوسَهُمْ، فَيَحْصُلُ لَكَ بِهَذَا الْأَمْرِ سُخْطُ اللَّهِ تَعَالَى وَيَسْخَطُ النَّاسُ جَمِيعًا.

وَأَمَّا الْبَاعِثُ عَلَى تَرْكِ الْعُجْبِ فَهُوَ أَنْ تَذْكَرَ أَنْ فَعَلَ الْعَبْدُ إِنَّمَا صَارَتْ لَهُ قِيمَةٌ لَمَّا وَقَعَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى مَوْضِعَ الرِّضَى وَالْقَبُولِ وَإِلَّا فَانْتِ تَرَى الْأَجِيرَ يَعْمَلُ طُولَ النَّهَارِ بِدِرْهَمَيْنِ وَلَوْ قَمَتَ لَيْلَةً لِلَّهِ تَعَالَى لِأَعْطَاكَ مَا لَا يَخْطُرُ بِبَالِكَ، بَلْ لَوْ جَعَلْتَ لِلَّهِ سَاعَةً تُصَلِّي فِيهَا رَكَعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ، بَلْ نَفْسًا وَاحِدًا لِأَعْطَاكَ ذَلِكَ، ثُمَّ أَذْكَرُ أَنَّ الْمَلِكَ فِي الدُّنْيَا إِذَا أُعْطِيَ أَحَدًا كِسْوَةً أَوْ طَعَامًا يَسْتَعْدِمُهُ بِضُرُوبِ الْخِدْمَةِ وَرَبْمَا يَبْذُلُ الْمُعَى رُوحَهُ إِذَا اعْتَرَضَ لِلْمَلِكِ عَدُوٌّ، ثُمَّ أَذْكَرُ مِنْ كَانَ الْأَنْبِيَاءُ وَالْمَلَائِكَةُ وَالْأَوْلِيَاءُ يَخْرُونَ لَهُ عَلَى الْإِدْقَانِ إِذَا أَدْنَى لِلْحَقِيرِ أَنْ يَدْخُلَ مَعَ هَوْلَاءٍ فِي الْخِدْمَةِ لِيُنَالَ الْحَقِيرُ الْعِنَايَةَ لَهُ فِي بَابِ أَيْسْتَعْظُمُ الْحَقِيرُ خِدْمَتَهُ، يَا أَخِي أَكْتُمُ حَسَنَاتِكُمْ كَمَا تَكْتُمُ سَيِّئَاتِكُمْ فَإِنْ أَرَادْتَ الْوُصُولَ إِلَى اللَّهِ فَعَلَيْكَ بِالذَّلَّةِ وَالْإِفْتِقَارِ وَالزَّمَامِ الْبَابِ بِالتَّضَرُّعِ وَالْبُكَاءِ إِنْاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافِ النَّهَارِ فَاسْتَعِنَ بِاللَّهِ فَإِنَّهُ خَيْرٌ مُعِينٍ لَّا نَجَاةَ مِ، هَذَا الْأَمْرِ إِلَّا بِرَحْمَتِهِ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.



Institute of Islamic-African Studies International

<sup>73</sup> قال الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله تعالى: إنما سموا المعتزلة لاعتزالهم الحق، وقيل لاعتزالهم أقاويل المسلمين، وقيل إنما سموا بذلك لاعتزالهم مجلس الحسن البصري رحمه الله تعالى، فمر الحسن بهم وقال: هؤلاء معتزلة، فلقبوا بذلك وهم يقتدون بعمر بن عبيد.



SANKORE'

فِي الْإِتِّزَامِ طَرِيقِ الْحَمْدِ وَالشُّكْرِ  
لِنِعْمَاتِ اللَّهِ فِي كُلِّ أَوْقَاتٍ

Institute of Islamic-African Studies International

## بَابُ فِي التَّزَامِ الْحَمْدِ وَالشُّكْرِ لِنِعْمَاتِ اللَّهِ فِي كُلِّ أَوْقَاتٍ

ثُمَّ عَلَيْكَ يَا أَخِي بَعْدَ الظَّفَرِ بِالْمَقْصُودِ مِنْ هَذِهِ الْعِبَادَاتِ السَّالِمَةِ مِنَ الْإِفَاتِ بِالْحَمْدِ وَالشُّكْرِ لِأَمْرَيْنِ: [أَحَدُهُمَا] لِذَوَامِ النِّعْمَةِ، [وَالثَّانِي] لِحُصُولِ الزِّيَادَةِ، فَأَمَّا ذَوَامُ النِّعْمَةِ فَلِأَنَّ الشُّكْرَ قَيْدُ النِّعْمِ وَبِهِ تَدْوَمُ وَبِتَرْكِهِ تَزُولُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾، وَأَمَّا حُصُولُ الزِّيَادَةِ فَلِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾.

ثُمَّ إِنَّ النِّعْمَ قِسْمَانِ: [1] دُنْيَوِيَّةٌ، [2] وَدِينِيَّةٌ، فَالدُّنْيَوِيَّةُ ضَرْبَانِ: [1] نِعْمَةٌ نَفْعٌ، [2] وَنِعْمَةٌ دَفْعٌ، فَنِعْمَةُ النِّفَعِ إِنَّ أَعْطَاكَ الْمَصَالِحَ وَالْمَنَافِعَ، فَالْمَنَافِعُ ضَرْبَانِ: [1] الْخَلْقَةُ السَّوِيَّةُ فِي سَلَامَتِهَا وَعَافِيَتِهَا وَمَا تَتَلَذَّذُ بِهِ مِنَ الْمَطْعَمِ وَالْمَشْرَبِ وَالْمَلْبَسِ وَالْمَنْكَحِ وَغَيْرِهَا. وَنِعْمَةُ الدَّفْعِ أَنْ صَرَفَ عَنْكَ الْمَفَاسِدَ وَالْمَضَارَّ وَهُوَ ضَرْبَانِ: [أَحَدُهُمَا] بِالنَّفْسِ بِأَنْ سَلَّمَكَ مِنْ زَمَانَتِهَا وَسَائِرِ أَفَاتِهَا وَعَلَلِهَا، [وَالثَّانِي] دَفَعْنَا يَلْحَقُكَ مِنْ ضَرَرٍ مِّنْ أَنْوَاعِ الْعَوَاقِقِ أَوْ يَفْصِدَكَ بِسُوءِ مَنْ إِنْسَ وَجِنٌّ وَسَبَاعٌ وَهُوَامٌ وَنَحْوِهَا. وَأَمَّا نِعْمَةُ الدِّينِيَّةِ فَضَرْبَانِ: [1] نِعْمَةُ التَّوْفِيقِ، [2] وَنِعْمَةُ الْعِصْمَةِ، فَنِعْمَةُ التَّوْفِيقِ أَنْ وَفَّقَكَ أَوْلاً لِلْإِسْلَامِ، ثُمَّ لِلسُّنَّةِ، ثُمَّ لِلطَّاعَةِ، وَنِعْمَةُ الْعِصْمَةِ إِنْ عَصَمَكَ أَوْلاً عَنِ الْكُفْرِ وَالشُّرْكِ وَعَنِ الْبِدْعَةِ وَالضَّلَالَةِ وَعَنِ سَائِرِ الْمَعَاصِي.

وَتَفْسِيرُ ذَلِكَ لَا يُحْصِيهِ إِلَّا السَّيِّدُ الْعَالِمُ الَّذِي أَنْعَمَ عَلَيْكَ كَمَا قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، وَأَنَّ ذَوَامَ هَذِهِ النِّعْمَةِ كُلِّهَا مِنْ كُلِّ بَابٍ مِنْهَا مِمَّا يَبْلُغُهُ وَهَمُّكَ كُلُّهُ مُتَعَلِّقٌ بِشَيْءٍ وَاحِدٍ وَهُوَ الشُّكْرُ وَالْحَمْدُ، وَأَنَّ خِصْلَةَ يَكُونُ لَهَا كُلُّ هَذِهِ الْقِيَمَةِ وَيَكُونُ فِيهَا كُلُّ هَذِهِ الْفَوَائِدِ لِحَقِيقِ أَنْ يَتَمَسَّكَ بِهَا مِنْ غَيْرِ إِغْفَالٍ بِحَالٍ، فَإِنَّهُ جَوْهَرٌ تَمِينٌ وَاللَّهُ وَلِيُّ التَّوْفِيقِ بِفَضْلِهِ. فَإِنْ قُلْتَ: فَمَا حَقِيقَةُ الْحَمْدِ وَالشُّكْرِ؟ فَاعْلَمْ أَنَّ الْعُلَمَاءَ فَرَّقُوا بَيْنَهُمَا بِأَنَّ الْحَمْدَ مِنْ أَشْكَالِ التَّسْبِيحِ وَالتَّهْلِيلِ، وَأَمَّا الشُّكْرُ فَهُوَ الطَّاعَةُ بِجَمِيعِ الْجَوَارِحِ لِرَبِّ الْخَلَائِقِ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَمَا مَوْضِعُ الشُّكْرِ؟ فَاعْلَمْ أَنَّ مَوْضِعَهُ النِّعْمُ، ثُمَّ النِّعْمُ دِينِيَّةٌ وَدُنْيَوِيَّةٌ وَأَمَّا الشَّدَائِدُ وَالْمَصَائِبُ فِي الدُّنْيَا فِي نَفْسٍ أَوْ أَهْلِ أَوْ مَالٍ هَلْ يَلْزَمُ الشُّكْرُ عَلَيْهَا؟ فَقَوْلَانِ: [1] قَوْلٌ لَا يَلْزَمُ إِلَّا أَنْ الشَّدَّةَ فِي جَنْبِهَا نِعْمَ اللَّهُ تَعَالَى، فَيَلْزَمُ الشُّكْرُ عَلَى تِلْكَ النِّعْمِ الْمَقْرُونَةِ بِهَا دُونَ تِلْكَ الشَّدَّةِ، [2] وَقَوْلٌ يَلْزَمُ لِأَنَّ تِلْكَ الشَّدَائِدَ لَيْسَتْ بِحَقِيقَةٍ بِدَلِيلٍ مَا تَجَرُّ مِنْ الْمَنَافِعِ كَالدَّوَاءِ الْكَرْبِيهَةِ لِعَلَّةٍ مَخُوفَةٍ فَيُودِّي إِلَى سَلَامَةِ الْبَدَنِ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَالشُّكْرُ أَفْضَلُ أَمْ الصَّابِرُ؟ فَاعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ قِيلَ إِنَّ الشَّاكِرَ أَفْضَلُ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾، وَجَعَلَهُمْ أَحْصَى الْخَوَاصِّ، وَقِيلَ بَلِ الصَّابِرُ أَفْضَلُ لِأَنَّهُ أَكْبَرُ مَشَقَّةً فَيَكُونُ أَكْبَرُ ثَوَابًا وَأَرْفَعُ مَنْزِلَةً، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، قَالَ الْغَزَالِيُّ: «إِنَّ الشَّاكِرَ بِالْحَقِيقَةِ لَا يَكُونُ إِلَّا صَابِرًا، وَالصَّابِرُ بِالْحَقِيقَةِ لَا يَكُونُ إِلَّا شَاكِرًا».

ثُمَّ تَأَمَّلْ أَصْلَيْنِ: [أَحَدُهُمَا] أَنَّ النُّعْمَةَ إِنَّمَا تُعْطَى مَنْ يَعْرِفُ قَدْرَهَا وَإِنَّمَا يَعْرِفُ قَدْرَهَا الشَّاكِرُ، [وَالثَّانِي] أَنَّ النُّعْمَةَ إِنَّمَا تُسَلَّبُ مِمَّنْ لَا يَعْرِفُ قَدْرَهَا الَّذِي كَفَّرَهَا وَلَا يُودِّي شُكْرَهَا، عَلَيْكَ بِبَدَلِ الْمَجْهُودِ حَتَّى تَعْرِفَ قَدْرَ النِّعَمِ إِذَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْكَ بِنِعْمَةٍ فِي الدِّينِ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَلْتَفِتَ إِلَى الدُّنْيَا وَحَطَامَتِهَا، فَاعْلَمْ بِالْحَقِيقَةِ أَنَّكَ لَوْ خُلِقْتَ مِنْ أَوَّلِ الدُّنْيَا وَأَخَذْتَ فِي شُكْرِ الْإِسْلَامِ مِنْ أَوَّلِ الْوَقْتِ إِلَى الْأَبَدِ لَمَا كُنْتَ تَقُومُ بِذَلِكَ، لَكِنَّ عَلَيْكَ بِبَدَلِ الْمَجْهُودِ قَدْرَ طَاقَتِكَ، يَا أَخِي إِنَّ الْأَمْرَ يَسِيرٌ عَلَاً مَنْ يَسِّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى الْعَبْدِ الْإِجْتِهَادُ وَعَلَى اللَّهِ الْهِدَايَةُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾.



Institute of Islamic-African Studies International

SANKORE'



Institute of Islamic-African Studies International

## خَاتِمَةٌ فِي كَرَامَاتِ سُلُوكِ طَرِيقِ الْجَنَّةِ<sup>74</sup>

يَا أَخِي كَرَامَاتِكَ إِنْ سَلَكْتَ هَذَا الطَّرِيقَ وَخَدَمْتَهُ أَرْبَعُونَ: عَشْرُونَ فِي الدُّنْيَا وَعَشْرُونَ فِي الْعُقْبَى، وَأَمَّا الَّتِي فِي الدُّنْيَا: [الأولى] فَذِكْرُ اللَّهِ لَكَ بِثَنَائِهِ، [والثانية] شُكْرُهُ لَكَ، [والثالثة] حُبُّهُ لَكَ، [والرابعة] كَوْنُهُ وَكَيْلِكَ، [والخامسة] كَوْنُهُ لِرِزْقِكَ كَفِيلاً، [والسادسة] كَوْنُهُ لَكَ نَصِيراً، [والسابعة] كَوْنُهُ لَكَ أَنْيَساً، [والثامنة] عِزُّ النَّفْسِ لَا يَلْحَقُكَ ذُلٌّ، [والتاسعة] رَفْعُ أَلْهَمَةٍ، [والعاشرة] غِنَى الْقَلْبِ، [والحادي عشر] اهْتِدَاءُ الْقَلْبِ بِنُورِهِ إِلَى عُلُومٍ وَأَسْرَارٍ، [والثانية عشر] شَرْحُ الصَّدْرِ لَا يَضِيقُ شَيْءٌ مِّنْ مَّحَنِ الدُّنْيَا، [والثالثة عشر] الْمَهَابَةُ، [والرابعة عشر] الْمَحَبَّةُ فِي الْقُلُوبِ، [والخامسة عشر] الْبَرَكَةُ الْعَامَّةُ يُتَبَرَّكُ بِتُرَابٍ وَطُنْتٍ وَبِمَكَانٍ جَلَسْتَ فِيهِ يَوْمًا وَبِبَانِسَانَ صَحَبْتَ، [والسادسة عشر] تَسْخِيرُ الْأَرْضِ مِنَ الْبَيْرِ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِنْ شِئْتَ سَرْتَ فِي الْهَوَىٰ وَمَشَيْتَ عَلَى الْمَاءِ وَقَطَعْتَ وَجْهَ الْأَرْضِ فِي سَاعَةٍ،<sup>75</sup> [والسابعة عشر] تَسْخِيرُ الْحَيَوَانَ مِنَ السَّبْعِ وَالْوَحْشِ وَالْهَوَامِّ وَغَيْرِهَا [والثامنة عشر] لَا تَسْتَلُّ اللَّهُ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاكَ، [والتاسعة عشر] الْقِيَادَةُ وَالْوَجَاهَةُ عَلَىٰ بَابِ رَبِّ الْعِزَّةِ فَيَبْتِغِي الْخَلْقَ الْوَسِيلَةَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَىٰ بِخِدْمَتِكَ

<sup>74</sup> الكرامة: هي أمر خارق للعادة يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح ملتزم بمتابعة النبي صلى الله عليه وسلم، مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح، فاعتقد جمهور المسلمين بجواز وقوع الكرامة لأولياء الله، ووقوعها لهم في الحياة وبعد الممات كما ذهب إليه جمهور أهل السنة، وليس مذهب من المذاهب الأربعة قال بنفيها بعد الموت بل ظهورها حينئذ أولى، لأن النفس حينئذ صافية من الأكدار، فهي كالسيف سل من غمده، وعلى هذا قيل: "من لم تظهر كرامته بعد موته كما كانت في حياته فليس بصادق" واستدلوا على الوقوع بما جاء من قصة السيدة مريم رضي الله عنها في قوله تعالى: ﴿كَلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ فقد كان يجد عندها فاكهة الصيف بالشتاء وبالعكس. وما جاء من قصة أصحاب الكهف حيث دخلوا غاراً فلبثوا فيه بلا طعام ولا شراب ثلاث مائة وتسع سنين نياماً بلا آفة، وما جاء من قصة آصف وزير سيدنا سليمان وقد كان يعرف اسم الله الأعظم فدعا به فأتى الله بعرش بلقيس قبل أن يرتد طرف سليمان إليه، وما وقع من كرامات الصحابة والتابعين إلى وقتنا.

<sup>75</sup> وأما كرامات الظاهرة للشيخ عثمان بن فودي كطي الأرض ومشى على الماء ونحوه فقد قال الشيخ محمد بن عبد القادر بن المصطفى في كتابه النيذة: فقد حدثنا الجد الصالح محمد بن عمر الكموي أنّ والده كان يرسله إلى الشيخ كل يوم بعشرة طنابيل، وكان الشيخ يتناولها، فاصبح ذات يوم ولم يره فمشى إلى دار عمر الكموي فدخل من حوضه بين داريهما، فقال للكموي: أين عادتني؟ فقال: يا شيخ والله ما أصبح عندنا شيء منه، فأخذ الشيخ بضبع عمر الكموي فمشى خطوات، فإذا هما بين أشجار غور، وقال به الشيخ إبدأ بعادتي فأتى بها، ثم أخذ ما قدر عليه فرجعا، فإذا هما بمحلّهما وقد علم عمر الكموي ان أشجار غور لا توجد في غير غنجا وانما خرج غدا ذلك اليوم وذهب، ثم رجع فقال للشيخ اتبعت أثرينا ولم ار أشجار غور، وأما المشي على الماء فقد بلغنا أن الشيخ في زمن صباه سار إلى الكمو عند صاحبه فأتى المورد بلفود وقد غربت الشمس وأصحاب السفينة يربطونها، وقد امتنع من حملة، فمشى على الماء بقدميه، فجعل يقول لصاحب السفينة: "أتقدر على هذا!" وجاوز. وأما الطيران في الهوى وقد بلغنا أن زوجته ميمونة وإي سألاه عن ذلك، فطار فنزل على بيت هذه وهما ينظران.

وَتَنجِحُ الْحَاجَةَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِوَجَاهَتِكَ وَبِرَكَاتِكَ، [وَتَمَامُ الْعِشْرُونَ] إِبَابَةُ الدَّعْوَةِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَلَوْ خَطَرَ بِبَالِكَ شَيْءٌ لَحَضَرَكَ. وَهَذِهِ كَرَامَاتُكَ فِي الدُّنْيَا.

وَأَمَّا الَّتِي فِي الْعُقْبَى: [وَالْحَادِيَةُ وَالْعِشْرُونَ] أَنْ يُهَوَّنَ عَلَيْكَ سَكَرَاتُ الْمَوْتِ، [وَالثَّانِيَةُ وَالْعِشْرُونَ] تَنْبِيهُتُ الْإِيمَانَ، [وَالثَّلَاثَةُ وَالْعِشْرُونَ] خُرُوجُ الرُّوحِ بِالْبُشْرَى، [وَالرَّابِعَةُ وَالْعِشْرُونَ] الْخُلُودُ فِي الْجَنَانِ، [وَالْخَامِسَةُ وَالْعِشْرُونَ] الْحَيَاةُ فِي السِّرِّ لِرُوحِكَ وَلِبَدْنِكَ بِتَعْظِيمِ جَنَازَتِكَ، [وَالسَّادِسَةُ وَالْعِشْرُونَ] الْأَمَانُ نِتَ فِتْنَةِ سُؤَالِ الْقَبْرِ وَتَلْقِيَنِ الصَّوَابِ، [وَالسَّابِعَةُ وَالْعِشْرُونَ] تَوْسِيعُ الْقَبْرِ وَتَوْبِيرُهُ، [وَالثَّمَانِيَةُ وَالْعِشْرُونَ] إِبْنَانُ رُوحِكَ وَنَسْمَتِكَ وَإِكْرَامُهَا وَكَوْنُكَ مَعَ الْإِخْوَانِ الصَّالِحِينَ، [وَالتَّاسِعَةُ وَالْعِشْرُونَ] الْحَشْرُ فِي الْعِزِّ وَالْكَرَامَةِ تَخْرُجُ مِنْ قَبْرِكَ فَإِذَا الْمَلَائِكَةُ يَتَلَقَّكَ بِخُلِّ وَتَاحٍ، [وَتَمَامُ الثَّلَاثِينَ] بِيَاضُ الْوَجْهِ، [الْحَادِيَةُ وَالثَّلَاثُونَ] الْأَمْنُ مِنْ أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، [وَالثَّانِيَةُ وَالثَّلَاثُونَ] أَخَذُ الْكِتَابِ بِالْيَمِينِ، [وَالثَّلَاثَةُ وَالثَّلَاثُونَ] تَيْسُرُ الْحِسَابِ، [وَالرَّابِعَةُ وَالثَّلَاثُونَ] ثِقَلُ الْمِيزَانِ، [وَالْخَامِسَةُ وَالثَّلَاثُونَ] وَرْدُ الْحَوْضِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، [وَالسَّادِسَةُ وَالثَّلَاثُونَ] جَوَازُ الصِّرَاطِ، [وَالسَّابِعَةُ وَالثَّلَاثُونَ] الشَّفَاعَةُ، [وَالثَّمَانِيَةُ وَالثَّلَاثُونَ] مُلْكُ الْأَبَدِ فِي الْجَنَّةِ، [وَالتَّاسِعَةُ وَالثَّلَاثُونَ] الرِّضْوَانُ الْأَكْبَرُ [وَتَمَامُ الْأَرْبَعِينَ] لِقَاءُ رَبِّ الْعَالَمِينَ إِلَهَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ بِلَا كَيْفٍ جَلَّ جَلَالُهُ. فَهَذِهِ كَرَامَاتُكَ فِي الْعُقْبَى.

وَبِتَمَامِهَا تَمَّ الْكِتَابُ الَّذِي لَخَّصْتُهُ مِنْ أَسْرَارِ كَلَامِ أَبِي حَامِدٍ الْغَزَالِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَأَفَاضَ لَنَا مِنْ بَرَكَاتِهِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ بِجَمِيعِ مَحَامِدِهِ كُلِّهَا مَا عَلِمْتُ مِنْهَا وَمَا لَمْ أَعْلَمْ عَلَى نِعْمِهِ كُلِّهَا مَا عَلِمْتُ مِنْهَا وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّاتِهِ صَلَاةً وَسَلَامًا وَبَرَكَاتًا لَا نِهَآيَةَ لَهَا كَمَا لَا نِهَآيَةَ لِكَمَالِهِ، الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ لَأَنْبِيَّ بَعْدَهُ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.<sup>76</sup>



<sup>76</sup> الحمد لله تمت تعليق وشرح لهذا الكتاب المبارك على يد الفقير إلى الله تعالى أبي الفاء عمر محمد شريف بن فريد يوم الجمعة في 5 في شهر جماد الثاني في سنة 1417 من الهجرة (موافق 18-10-1996 الميلادي)، فترجمته وشرحته للمسلمين المحبوسين والمسجونين في السجون في بلاد الأمريكي، ليفتح لهم أبواب طريق الجنة وليحطم لهم أبواب المحنة، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا، وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، وبالله التوفيق.